اساطير بابلية



اساطير بابلية

ترجمة

سلمان التكريتي

ترجم عن النص الانكليزي

The Ancient near east by: James.B.Pritchard.

مراجعة

زكي الجابر

١٩٧٢ م – ١٣٩٢ هـ

مطبعة النعمان – النجف الاشرف هاتف ٢٠٩٧

الاهـداء

الى الاديب العراقي سليل امجاد سومر واكد وآشور ،
اقدم هذه الدفقة من الادب الانساني •

تصدير

نحن لا نعرف حضارتنا ، ولا نعرف تاريخنا ، اذن لا نعرف من نحن أيضا ! فثقافتنا العربيــة ذات اصالة وجلاء فنيين ابان القرون الوسيطة ، حينما خيم الفساد الاجتماعي على أوربا ، وقد انطلقت هذه الثقافة وازدهرت في العراق لوجود ما يبررها ، ولم يكن ذلك عفوا أو طفرة من الطفرات مفقودة الحلقات ، لأنــه مرتبط بمستقيات الحضارة . لكننا لا نعرف نحن قيمة هــــذا التراث العراقي عامة ، وتراث الشعوب التي استوطنته خاصة . فالسومريون الذين سكنوا العراق ، كانوا وحـــدهم المجلين والسباقين في ميدان الزراعة في العصور الحجرية ، ثم هم الذين اخترعوا الكتــابة ودونوا الوقائـــع والحروب وبذلك وضعوا السجل الاول لتاريخ حضارة العالم . وقد كان ذلك في مدينـــة الوركاء (ارك) ابان العصر الحجري الحديث أو النصف الثاني من الالف الرابع قبل الميلاد . وحينما دونت الكلمة .. المفردة .. الحرف على اول رقيم طين ، بدأ الانسان يعي مسؤوليته بعد أن وعى ماهية الحاجة الاقتصادية والاجتماعية . وحينما انتقل

الرقيم من يد ، واستقر في يد أخرى ، عرف الانسان ايضا مدى التقدم الذي يمكن انجازه ، فبدأ يرسم ، ويخطط ، ويضع الارقام ، ويحسب ويعد ، دفاعا عن نفسه وحمايته لبني جنسه ووقاية من المقادير ، من الجدب والفيضانات والزوابع والصواعق والحرائق والامطار والثلوج والمياه ايضا ، فمع ما فيها من وفاء وعدل ، فيها عقوق ورهبة ، وبقدر ماهي خصبة ارضنا ، وبقدر ما هي وفيرة امواهنا ، وغزيرة امطارنا ، فكثيرا ما تكون وبالا ، وكثيرا ما تكون عقابا ، حينما كانت تفيض تلك الانهار ، وتغطي رحابا شاسعة ، وتودي بالزرع وتهلك الضرع ، فينتشر القحط ويعم البلاء . وقد تميزت أرضنا ومياهنا وامطارنا ومناخنا بالقسوة والعنف ، والتغاير الحاد عما هي عليه في مصر ، حيث الوداعة والانتظام . فان النيل لا يفيض الا في الوقت الذي ينزر المطر ، وذلك في مطلع شهر حزيران ، ثم يستمر في الصعود حتى غايته في شهر تموز ، وينتهي في آب ، وبذلك يكون قد روى الارض قبل أن تعطش ، وعندئذ تكمل عملية الارواء التي بدأتها الامطار في شهور الشتاء واوائل الربيع . اما مناخ العراق ، فهو العكس تماما ، حيث يبدأ سقوط الامطار في مطلع شهر تشرين الاول ، ثم تشتد غزارته في شهر

كانون الثاني ، ويبدأ خطها البياني بالارتفاع حتى شهر مارت (نوار) حيث يبدأ موسم الفيضان ، فترتفع مناسيب المياه في نهري دجلة والفرات ، ويستمر طغيانها في شهر نيسان مع غزارة الامطار ، فتغرق الاراضي الواسعة على جانبيها ، في الحين الذي يكون فيه الزرع قد نضج أو كاد . وان هذا الفيضان بالاضافة الى كونه غير مفيد للزرع ولا نافع ، فهو من ناحية أخـرى ذو ضرر بالغ ، لأنه يجرف المنتوج الذي تم حصاده، أو الذي في طريق الحصاد . وهذا عكس ما يحدث في مصر تماما ، اذ أن الفيضان لا يحدث الا عقب انتهاء موسم الحصاد ، وحينما تستقبل الارض مزروعات الموسم الصيفي .

هذه هي قسوة مناخ العراق، وظروفه الطبيعية العنيفة التي كان لزاما على سكانه ، ان يعملوا ما في وسعهم ، واكثر مما في وسعهم بغية السيطرة على هذه التقلبات ، وتحسين وسائلهـا ليحموا انفسهم، ويقوا زرعهم وضرعهم. ولكن مع ذلك وبالرغم من هذه القسوة الطبيعية فان الحضارة في العراق سبقت شقيقتهـا في مصر الفراعنة ، ولم تبزغ فيها الا بعد ثلاثة قرون كاملة ، كما قرر المؤرخون الاثريون ، وسبقت حضارة اليونان بثلاثة وعشرين قرنا ، وسبقت حضارة أوربا الشمالية بتسعة وعشرين قرنا . وفي

الحين الذي عرفت فيه الكتابة في حدود ٣٥٠٠ ق ٠ م في وادي الرافدين ، فقد تأخرت في مصر الفراعنة ثلاثة قرون تبعا لتأخر الحضارة فيها ٠ ولو فكرنا وتصورنا حياة سكان وادي الرافدين لوقفنا خاشعين معجبين ، بقوتهم وكفاحهم امام تحديات الطبيعة٠ ولكن بالرغم من كل ذلك ، وامام كل تلك التحـديات اصبح السومريون هم رواد الحضارة الانسانية الاولى ، بينما نحـن لا نعرف ذلك ، ولم نلتفت اليه ، وكأنما هذه الحضارة التي بين أيدينا أوراقها ليست ملكنا ، وكأنما هي ليست اصيلة في هذا الوادي الاخضر ٠ والحركة الشعوبية في القرن الثالث الهجري وما بعده ان انكرت حق العرب وفي العراق خاصة ، في ادبه وفنه ، فان حركة ماثلتها ، قد غزت العالم في القرون الوسيطة ، ولحد الآن تصدى لها بعض المستشرقين لانكار كل تراث وادي الرافدين هذه المرة ، حتى لو عرفوا بأن أول حرف رسم في بابل، او تمثال نحت في كيش ، أو شريعة سنت في نفر ٠

هل نسي العالم وادي الرافدين ، ونسي حضارته وسكانه السومريين والأكديين والبابليين في الحين الذي لم ينس اليونان وحضارته !؟ وربما يكون السبي البابلي الكبير قد اثر كثيرا على الصهيونيين ، فزاد في استيائهم وغيضهم وحقدهم ، فانكـروا

وتنكروا لحضارة البابليين الـذين اذلوهم وبالتالي انكروا وتنكروا لكـل حضارة وادي الرافدين • ولا شك ان الاثر الصهيوني في المجتمعات الاوربية ادى بالاوربيين الى مشاركـة الحركة الصهيونية العالمية هذا الرأي ، فغطموا حضارتنا ، وثقافتنا وادبنا وعلمنا وفننا ، وكل ما يمت لنا فيما بين النهرين • وذلك لا يخفى علينا جميعا بفعل تغلغل رؤوس الاموال الصهيونيـة في الاحتكارات الاوربية وتسييرها للسوق الاقتصادية ودعايتها الواسعة في مختلف المجالات التي تعدتها من المجال الاقتصادي الى المجالات الفكرية والثقافية والفنية •

ولكن رب قائل يقول ، وما هذا الاعتزاز بحضارة الطين هذه في وادي الرافـدين وما هذه الصيحة الجـوفاء عن الحروف الهجائية ! وردا على ذلك نقول انه لولا دولاب الخزافه الذي اخترع في ارض الرافدين ، لما كانت مصانع النسيج الضخمة في انكلترا ، ولو لم يظهر نبوريانوس كيدينو في بلاد بابل ، لمـا ظهر كبلر وكوبرنيكوس وكاليلو في ايطاليا ، ولما ظهر ماجلان او كريستوف كولومبوس • ومع ان التاريخ يذكر ارخميـدس وهيرون وديوفنطس كأسماء لامعة في الجبر والهندسة في تاريخ اليونان ثم فيثاغوراس ، لا يذكر الى جانبهم اسماء سومريـة

أو بابلية ، مع ان السومريين والبابليين رادوا هذه المجالي قبل بدء تاريخ اليونان الحضاري بعدة قرون • وقد ابتكر البابليون اللوغارتيمات وعرفوا استخراج المساحات والحجوم ووضعوا قوانين كثير من المسائل الجبرية ذات الثلاثة مجاهيل ، وعرفوا مساحة المربع المنشأ على وتر المثلث القائم الزاوية ، فلا ضير والحالة هذه اذا قلنا بأن العالم مدين لنا نحن العراقيين، ولحضارة وادي الرافدين وادبه وفنه • وان ادبنا وفننا هو الجذر العميق الغور لادب الاغريق وفراعنة مصر ، بل حتى الادب العربي أيضا حيث أصبحت اداب وفنون ما بين النهرين قاعدة هذه الاداب والفنون على نطاق العالم ومسرى الكلمة تاريخيا ، والتي انطلقت من وادي الرافدين ، وحلت جميع الرحاب والمجالي تزيدنا دلالة على العطاء الثر الذي تفضل التاريخ وحفظه لهذه الكلمة في وادي الرافدين •

اننا كلما قلبنا صفحات كتاب من الكتب الادبية او الحضارية طالعتنا وجهات نظر غريبة ، فيها مكابرة وتطاول ، مثل ما فيها من خيلاء وجحود • وان تلك الاراء والمفاهيم تعلن بدون تواضع ، ان الثقافة والادب العالميين لا يدينان الا للتراث اليوناني وبأن الملاحم والاساطير اليونانية قد اغنت الثقافة

العالمية بالتركة الكبيرة التي خلفها لنا الاغريق • واذا انطفأت شموع اثينا ، وذوت الحضارة الاغريقية ، بدأت الدعاوات تنصب من جديد ، لتسود صفحات التاريخ والادب ، لرفع راية النصر وتلوح بها عاليا ، لكن هذه المرة ، لا عن اثينا والاغريق ، انما عن اوربا والادب الايطالي والفرنسي ثم الانكليزي • وكأنما عصر النهضة هو الوجه المشرق الوحيد الوضاء لادب العالم ، وكأنما غاب عن أذهان هؤلاء المؤرخين والنقاد والادباء بأنه حينما كان الانسان في أوربا خلال العصور الجليدية ـ فترة العصور اللاحضارية ـ وانه قد نزح من الشمال نحو الجنوب ، سعيا وراء جمع القوت كان الانسان في العراق يبني اول دار ، ويحفر أول حرف ، ويرسم اول كلمة • وكان فجر السلالات وكانت الملاحم والاساطير التي دوت في الآفاق ، وسرى عبيرها فوق كل الاسوار • واذا هذه الملاحم والاساطير، بل حتى الصلوات الدينية والترانيم السومرية والبابلية المكتوبة بالمسمارية ، قد تغنى بها الميديون في سفوح جبال عيلام ، وتمجد بها العبرانيون حول عجلهم الذهبي ، وسبح بها الفينيقيون في عرض البحر ، بين دنان الخمر ينقلونها من فم الى فم ، في جزر بحر ايجه ، ومن جيل الى جيل في اثينا • واذا بالحرف السومري والبابلي مكتوب

على الرقم الطينية ، ينتقل من يد الى يـد ، ومن رف الى رف فيستقر هنا في بلاد الآراميين ، ثم هناك في مصر الفراعنة . وربما سيقول قائل ، ان هذا مجرد وهم وحـلم وتمن . واقول لا ، والف لا أيضا . وان لم تصدقوا فهاكم خط السير الحضاري لأدب ما بين النهرين .

كما انه .. في العلا لم يكن للسماء اسم كما جاء في بدء اسطورة الخليقة البابلية ، كذلك كما انه في اثينا لم يكن ادب ، كان في العراق ، في ارض سومر ، من الوركاء الى كيش وبابل حضارة .. بيوت من الطين ، ودولاب للخزاف وعجلة .. وحرف، نعم وكلمة أيضا ، تكتب وتقرأ ، وتنقل الفكرة من فكر الى فكر ومن جيل الى جيل . واخذ الانسان يغني ، فكان الشعر ، وبدأ يروي فكانت الملاحم والاساطير ، وترجم كل امنياته ورغباتـه ومخاوفه الى كلمات وهي اسطورة الخليقة والطوفان ، وملحمة كلكامش ، وادابا ، وايتانا ، والكثير الكثير من القصص الـذي لا يحصره عد .

ان هذا الادب بهذه الافكار ، لم يكن منقطعا و لا محصورا في حـدود ضيقة ، بل قد انطلق وخطى مساحات شاسعة من الربوع المعروفة آنئذ والمأهولة بالسكان . فقد أثر تأثيرا واضحا

في الادب الهليني ، وزيارات ارسطو وهيرودوتس وغيرهما لبابل وغيرها ، تؤكد على تداول تلك الافكار بعد نقلها • فقد تأثرت بها الميثولوجيا « الترهية » الاغريقية واضحت اساسا وجوهرا لها وتأصلت ثم استقامت وحدتها التكوينية • ولعمق اثر هـذه القصص والاساطير فأنها صيغت صياغة تاريخية في كثير من الكتب الدينية وبصورة خاصة العهد القديم • فأن اكثر القصص المرويـة في التوراة هي نفسها القصص والاساطـير السومرية والبابليـة ، فقدت في بعض الاحيان الصياغة الطريفة والاجواء الخيالية • أما القرآن الكريم فقد المح الى بعض تلك القصص واوضح البعض الآخر ، وهذا يشير الى ان هذه الاساطير والقصص كانت معروفة لدى العرب ويتداولونها ، مما حدى بالقرآن الكريم ان يكلمهم بمفاهيمهم ومدركاتهم ومحصولاتهم الفكرية والقصصية • ومعروف لنا ان المشركين معارضي الاسلام قد عابوا على الاسلام والقرآن انه يقص عليهم هذه القصص معتبرينها لا تعدو ان تكون اساطير أولين ، غير عارفين المرامي القريبة والبعيدة والغاية التي تساق من اجلها هذه القصص التي رواها القرآن الكريم • اما من ناحيتنا نحن فهذا يدل على اثبات ان هذه الاساطير لا يرقى اليها الشك وانها كانت معروفة متداولة على ألسنة العرب في اعماق الجزيرة

العربية وليس في العراق وحده ٠

واذا علمنا بأن هذا الادب ، وهذه الاساطير والملاحم والاشعار والصلوات والترانيم قد انتقلت من ارض سومر ، من سهل شنعار الى بلاد عيلام ، وبلاد اسرائيل ، حينما نعلم بأن ابراهيم الخليل (ع) ٢٠٠٠ ق٠م قد هاجر من العراق الى أرض فلسطين ، وتعلم هناك اللغة العبرية ثم هجرها الى واد غير ذي زرع ، أرض الحجاز ، حيث ابتنى هناك بيت الله الحرام ٠٠ وربما لم يلتفت الباحثون الى هذه المسألة ، ولم يعلقوا اهمية ما على هذه الهجرة ، التي قام بها ابراهيم الخليل (ع) ، ولكني اعلق عليها كل الاهمية ، واعتبرها عجيبة الاعاجيب ، ذلك لانها تعني بأن ابراهيم الخليل (ع) لا يمثل هجرة فردية احادية اولا ، بل هي هجرة بكل محتواها وبكل مقوماتها ، اي انها هجرة جماعية أو موجة من الموجات السامية ايضا ، لكنها لم تخرج من باطن الجزيرة العربية هذه المرة ، انما خرجت من العراق ٠ اما الدافع لهذه الهجرة ، فهو لأنها تمثل الصراع والتنافس بين القديم والحديث ، بين الجمود والتطور ، والسكون والحركة ، بين الموت والحياة ٠ ذلك لان الدين يمثل افكارا جديدة بعكس الوثنية والتوحيد يمثل افكارا اجد واطور لدحض افكار الشرك

التي سبقته • وبالطبع ان هذا التنافس والصراع ومحاولة السيطرة على السلطة واحتكارها تؤدي الى نصر فريق ، وهزيمة الفريق الثاني أو الهروب من وجه الارهاب بأي شكل كان • ولن يكون ذلك بطريق سوى الهجرة • وهذا ما تم فعلا في العراق بالنسبة للشرك الذي كان عليه السومريون وابراهيم الخليل (ع) الوحداني الدين • والناحية الثانية التي تستفاد من هذه الهجرة هو ان المهاجرين الذين هجروا وطنهم واستوطنوا وطنا ثانيا، لا يعرفون لغته ، وانصهروا فيه وتعلموا منه كما اضافوا اليه وعكسوا له ترسبات وتراكمات حضارية سابقة كانوا قد استقوها من اسلافهم • ولما كانت هذه الهجرة ليست هجرة فرد واحد انما هجرة جماعية أو موجة مهاجرة ، سهل علينا تصور هذا التفاعل والتلاقح الحضاري • وعلى هذا فتكون هذه هي الموجة الاولى التي نقلت الحضارة السومرية والبابلية بافكارها واساطيرها وملاحمها وادبها ، ونزلت بها ارض اسرائيل ثم ارض الساميين العرب • وبذلك تكون هذه هي اللبنة الاولى التي وضعها الادب السومري والبابلي في بلاد العرب واصبحت اساسا للادب العربي • لأنه يتحتم ان تتناقل الاجيال هذا التراث الذي جاءت به هذه الموجة المهاجرة وتنقل الاساطير والملاحم والترانيم من فم

الى فم بالرواية تارة وبالكتابة تارة أخرى . فجذور الفكر العربي في جزيرة العرب ليست الا الحضارة السومرية والادب البابلي باساطيره وقصصه .

واذا انتقلنا من الجزيرة العربية الى افريقيا ، واعني مصر الفراعنة التي تمثل اعظم حلقة اتصال بين حضارات البحر المتوسط وبالاخص حضارة اليونان وجز بحر ايجه وكريت ، فاننا سنلاحظ بأنه خلال حقبة من حكم الفراعنة ، نزحت شعوب غريبة عنهم ، جاءت من الشرق ، واستقرت بين ظهرانيهم ، اطلقوا عليهم اسم الهيكسوس ، أي « الاعراب » بين ٢١٦٠ ـ ١٥٨٠ ق ٠م ٠ وهؤلاء هم ايضا من سلالة ابراهيم الخليل كما جاء في القرآن الكريم ، والتوراة في الاصحاح السابع والثلاثين حتى السابع والاربعين من سفر التكوين ، وهي الفترة التي حكم فيها يوسف (ع) مصر الفراعنة بعد ان اشتراه فوطيفار ، وبالطبع لابد ان نلاحظ ان هذه الموجة والتي دانت بالديانة العبرية ، وهي من سلالة ابراهيم الخليل (ع) كما عرفنا ، قد نقلت معها حينما انتقلت من بلاد اسرائيل الى مصر الفراعنة ، تراثا لحضارتين ، تركات الحضارة السومرية وتراث الحضارة البابلية ، وطعمت به الحضارة الفرعونية .

فهاتان هجرتان كبيرتان ، كان لهما الفضل الاكبر ، وبطرق الاحتكاك سلميا في التبادل الحضاري فتمازجت الحضارات • وحينما لم تكن هناك حضارات بطاقات حضارة وادي الرافدين فان حضارة وادي الرافدين كانت هي السائدة ، وصارت هي الاساس والجذر لتلك الحضارات سواء في بلاد العرب أم في بلاد الفراعنة • اما طرق الاتصال الاخرى بين الحضارات ، فكانت عن طريق الحرب والتي تمثلت في الحملات البابلية والآشرية على بلاد الفينيقيين والحوريين واسرائيل ومصر الفراعنة • ولا شك أن تلك الحملات كانت تنقل معها كل شيء من العادات والتقاليد الى اللغة والقصص والاساطير بل ان النصر والاحتلال كانا عاملا في نشر الحضارة السائدة الراقية ، وهي حضارة البابليين آنئذ• ولسنا نفشي سرا اذا قلنا ان الحضارة السومرية والبابلية التي ترسخت في حضارة الفراعنة ، كانت قد انتقلت هذه المرة الى بلاد الاغريق عن طريق الفتح الروماني لمصر • وحينما لم تكن لدى اولئك حضارة تضاهي حضارة الشرق ، واعني حضارة ما بين النهرين ، التي اعجب بها هيرودوتس ٤٨٤ ـ ٤٢٥ ق•م والتي دون الكثير عنها في كتبه بالاخص كتابه التاريخي ـ فأنهم لابد ان يتأثروا ، فيقتبسوا ويقلدوا • وبالفعل كانت ملحمة

الالياذة والاوديسة والخليقة وغيرها التي اعتبرت معين حضارة العالم الحديث الذي لا ينضب •

واما اذا كان الشرق قد افاق ، واستيقظ ثانية في أيام الفتح الاسلامي ، وبالاخص في العصر العباسي الاول ، او القرن الثالث الهجري وحينما نشطت حركة التأليف والترجمة ايضا ، كانت أوربا تغط في ظلمات الاقطاع ودياجير الفروسية • وحينما كان للعرب كل شيء لم يكن في أوربا أي شيء • بل حتى الكتب والتآليف الاغريقية قد تركت في الزوايا والصوامع على قلتها وتراكم عليها الغبار • وحينما بدأت الانابيق تصف والدوارق تستقر في المختبرات وبدأت الابخرة والغازات تتصاعد من مداخن المعامل ، والحرير بدأ يزدهر على قدود الجواري والقيان والبسط تمتد تحت الاقدام العارية التي كانت توقع احلى الانغام وابدع الرقصات كانت أوربا ما تزال ترتعش تحت لفظ الانفاس الاخيرة للامبراطورية • وفي ذلك الحين ايضا ، اخذ العرب يكتبون ما استوعبوا من ثقافة سومرية واساطير بابلية والتي كانت ركيزة لهم في خيالاتهم وتصوراتهم واحلامهم وامنياتهم • وان كان للحضارة والادب الاغريقيين فضل على العرب ، فهو أقل جدا من فضل « كلكامش » على « هرقل » والاله « آنو »

على « زوس » و « أيا » على « بروميثيوس » • ومع ذلك فان الحضارة سلسلة متصلة الحلقات تبدأ من سومر وبابل وتعبر الى اثينا وتعود الى بغداد •

ان هذا التراث الذي لم يداته آنئذ ادب وفن من ناحية الجمال والفكرة والاسلوب ، ظللنا نحن الذين استوطنا هـــذه البقعـــة من الارض لا نعرف عنه شيئا ، وحتى بعد ان عرفــه الاوربيون ، وترجموا ما ترجموا الى لغاتهم ، وتفهموه ، وعرفوا أي حضارة تلك واي ادب ذاك فلم ينكروا ، لكنهم ايضـــا لم يكرموا كمـــا كـــرموا هيرودتس وارستوفانيس وسوفوكليس والالياذة والاوديسة ، ولم يحتفوا بـــــه مثلما احتفوا بالتراث الاغريقي • افلا يحق لنا ان نبتهج ونفرح ونهتف ونصفق لتراثنا هذا ، وللعبقريات التي اثرت في مجموع تراث العالم والهمته دونما مكابرة او اجحاف • وافلا يأين لنا نحن العراقيين •• لكل فرد مُنا ، ويأين لنا نحن الادباء ، ان نعرف وان ندرس هـــذا التراث ، وتلك الآثار ، ونحن على أبواب نهضة ادبية ضخمة ، وباب جـــديد من ابواب الادب ، ذلك هو المأثورات الشعبية « الفولكلور العراقي » لاننا نريد ان نستوحي تاريخنا وأدبنـــا هذا الطابع العراقي الاصيل ، ونصله بما انقطع من ادبنـــا العربي

هذا الذي بين ايدينا ، لأن ادبنا العربي قد تأثر بعمق بتراث مابين النهرين ، ونهل من ينابيعه الصافية .

ان ادبنا العربي باصالته ونقاوته ليس الا ثروة معطاء ، تمتد الى ارض بابل .. الى سومر .. الى كيش ونفر ، حيث الاساطير والقصص والترانيم ، لأنه سلسلة متصلة الحلقات ، والادب العربي حلقة من سلسلة الادب في العـــالم ، كذلك هو الادب الاغريقي . وان القصص والاساطير وترانيم ورقى بابل وارض سومر هي أول حلقة في سلسلة الادب هذه .. وهي لم تكــن سوى الالواح والرقم الطين . .

.. لكن حضارتنا ليست كما يدعون ، وادبنا ليس كمـا يقولون ، حضارة وادبا من طين .

تحليلات

ان صفات الفرد العراقي ليست جديدة عليه ، تقمصها في العصر الحديث ، بل هي قديمة ووليدة ظروف قاسية معقدة . وقد اعتنى الفكر العراقي بذلك وجسده في آثار خالدة ، ليست بعيدة أبدا عن انماط حياتنا المعاصرة بعد هذه الحقبة الطويلة من الزمن . فان الظروف الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لعبت دورا كبيرا في تكوين ذاتية هذا الفرد وتفكيره، حتى ظهر ذلك التلاحم الفكري اللغوي في صياغة فنية خلابة . وقد لانعدو الحقيقة ان قلنا بحتمية ذلك التلازم نظرا للعنت الرهيب الذي كان يلقاه الفرد فيعبر عنه الاديب . ولم يجد مبررا لثورته بالانطلاق من قيود المجتمع وتحطيم الحواجز المتعددة حوله . والواقع ان ضراوة الغزاة والمحتلين وصرامة السلطة والقانون اعتبارا من شريعة حمورابي ومرورا بالثورات الداخلية ، حتى تخريب بابل واجراء مياه الفرات عليها واغراقها ، قد خلقت من الفرد العراقي شخصية باسلة متمردة لا ترضى ان يطولها القانون.

فجهر الاديب العراقي القديم بثورته وتحدى كل القيم واخـذ يطاول الالهة والارباب التي كان يهابها ويعتز بها ويقـدسها فوق جبروت القانون جبروت الالهة ، وفوق جبروت السلطة، هناك جبروت القدر ، وهـذا الانسان تحدى القانون والسلطة واجتازهما حتى تحدى القدر والالهة • فنراه مرة ينزل الالهة من عليائها ويسومها سوء العذاب بأن يدير صراعا وحروبا بينها فتقتتل فيما بينها كما في قصة الخليقة بين « تيامات وكنكـو ومردوخ » • ولا تقف رغبة الانسان عند ذلك الحد بل يتعداه حتى يجعل الالهة تأكل الطين والوحل والصديد في العالم السفلي حيث نراه في تحدي « عشتار » « لايريشكيكال » في « نزول عشتار الى العالم السفلي » ، او اعجاب كلكامش بانكيدو ورغبته في نزاله لقوته ، ثم جعله بعدئذ رفيقا وصديقا له ، وهذا «الطوفان» وتحدي ادابا للاله « آنو » بان مزق اجنحة الطير ، رمزا لالهة الريح التي ارسلها الاله « آنو » في ملحمة « ادابا » •

ان هذا التحدي الجريء يدل ادق دلالة على الروح المتمردة التي ترفض للانصياع والخضوع والخنوع بفعل الكابوس الذي كان يخيم على البلاد سواء ما تمثل منها بالسلطة والقانون ، أم الدين والكهنوتية ، أم القدر والكوارث • وهذا يؤكد الدلالة

الانسانية بين قوى الالهة الغضبى دائما على الانسان والتي لا تهدأ بالرغم من كثرة القرابين والأضاحي التي توهب لها • فالى متى يخضع الانسان للالهة التي لا تلبي مطاليبه •• والى متى يبتز هذا الكاهن العاطل عن العمل — عرق جبينه وعصارة اتعابه وجهوده طيلة عام كامل من الامنيات والرغبات والاحزان والدموع والدم •

ويجب ان نعلم ايضا بان الانسان كان يصنع الالهة بيديه ثم يعبدها بمقتضى تكوينه العقلي البسيط وطوال عقود طويلة يقارع بها خصومه المتمثلة بالطبيعة ومظاهرها المتغيرة والعواصف والامطار والفيضانات والصواعق والآفات الزراعية والقحط والرياح السموم أو الزمهرير ثم الحيوانات الكاسرة المفترسة ونظام الحكم القاسي والغرامات والاعدام (شريعة حمورابي) والغزو والحروب والاحتلال • لكن هذه العقود لا تطول اذ ان العقل الانساني قد اهتدى الى مشاركة قوة الالهة التي صنع صورها بيديه وسلطاتها وجبروتها مثلما آمن قبلئذ بالانصياع لها والخنوع والاذلال ، خاصة وهو يرى الصراع المحتدم بينها في مظاهر الطبيعة بعد ان رمز لكل مظهر من تلك المظاهر برمز خاص الهه فيما بعد واضفى عليه تلك القدسية والطهر والنقاوة والكمال

والاطلاق والهيبة والقوة والهيمنة، فانههو ذاته بأمكانه ان يسحب تلك الصفات وينفيها عنه ان لم يكن نفيا تاما ، فعلى الاقل نفيا جزئيا ، وان لم يكن ظاهريا فباطنيا . وهكذا جسدت هـــذه الاساطير العلاقات الانسانية القوى الغيبية التي لا تدرك مدى قوتها وسيطرتها . وهي تمثل من الناحية الاولى تطور المفهوم الديني لدى الفرد في وادي الرافدين وانتقاله من المرحلة المادية الى الصنمية الرمزية الى الحرمات المتعددة . وكل مرحلة دينيـــة كما هو معروف تعتبر تطورا دافعا وذو زخم فكري متدفق لخدمة الحياة الانسانية والمتعلقة تعلقا صميميا بالمنجزات المادية . ورفض الانسان الافكار الدينية البدائية المادية والوصول الى مرحـــلة الماورائية يعتبر نهضة فكرية خلاقة وثورة صامتة للتغلب عـــلى القوى المادية . وان الرمز الغيبي الماورائي للقوى الخالقة لم يتعين ويصمد الا بعد الوصول الى مرحلة التوحيد حيثلميتمكن الفرد بعدئذ من ابدال هذه القوى بقوى اخرى تعويضية . وحيث ان كل مرحلة دينية تعتبر ثورة على الجمود والانحلال والضحالة في المرحلة السابقة ، فأن مرحلة التوحيد والايمان بقوة ماورائية غيبية لهو آخر مراحل التطور في التفكير الديني ، ويجسد اكبر ثورة ضد المفاهيم العتيقة البالية . وقد تجلت هذه النهضة في

العراق قبل غيره من الحواضر وبشخص ابراهيم الخليل الذي رفض عبادة الاصنام او الايمان بقواها ، ودعا الى نبذها ، فلم يجد استجابة . ونظرا للظروف السياسيةالقاهرة والقسوة الطبيعية اضطر الى الهجرة . وكما ان فترة التوحيد التي التقت عند ذرى التناقض الفكري والحواجز المادية التي صار يفتعلها الكهنة اللاهوتيون ، قادت ابراهيم الخليل (ع) الى اعلان ثورته الدينية في أور الكلدان ، انطلاقا من التراكمات الحضارية الواسعة الامتداد والعميقة الاغوار . فشكلت اعلى مرحلة في التطور الديني الذي خلص الفكر الديني من شوائب الصنمية والحرمات المادية المتعددة . كذلك نجد ان هذا التجسيد قد ظهر على مستوى ادبي رائع في القصص والحكايات والاساطير والترانيم التي تتلاءم مع تلك المرحلة وبنائها الحضاري . فلا عجب ان تشهد أرض ما بين النهرين هذه الروائع الفذة التي نخالها الآن من صنع خيال ترهي ضحل مريض . ان العكس هو الصواب ، حينما نتعمق في دراسة هذه الآثار ، لنجد الثورة الفكرية الصارمة والعميقة لتحديد خط سير الانسان في خضم تلك الاحداثمن ناحية والجور الذي سددته القوى الغازية والقوى الحاكمة من ناحية ثانية حيث لم يجد الفرد مستقره الا في هذا الشكل ، لينزع

تلك الهيبة والقدسية عن الالهة التي خلقها هو بنفسه ، ونصب لها اصناما وأوكل لها سدنة وكهنة اخذوا يسيرون في طريق يتنافى مع مفهوم التطور الحضاري الزمني . وبعد ان نزع هذه الهيبة والقدسية عن الالهة اخذ يخلعها على اشخاص يحققون له اهدافه ويسيرون به الى ابعد المرامي الحياتية اليومية على طريق نسف الحواجز التي اضحت مثل نسيج العنكبوت .

***

في ملحمة الخليقة ، نستدل على ظهور بوارق الفكر الفلسفي مع انه لم يكن معروفا آنئذ في الفكر البابلي فلسفة معينة . فان هذا الصراع بين الارباب السابق لما حدث في اليونان ، ليدل دلالة دقيقة على ما لافكار الخير والشر من قيمة ، والارادة والمسؤولية من مغاز ، ناهيكم عن ظهور فكرة توحد السلطات كلها بيد آله واحد ، التي تقربنا من فكرة التوحيد (الوحدانية) بالرغم من تعدد الارباب والالاهات . فان هذا التسلسل في التفكير بوجود المخلوقين والخالقين ، تؤدي ولا شك الى ان التسلسل الالهي اصبح احد البراهين الافتراضية على اثبات وجود الله . وهذا ليس ببعيد عما اشتهر به القديس انسلم في القرون الوسيطة . فوجود الاله مردوخ ذو السلطة العظيمة المتناهية

ينفي اشراك باقي الالهة معه . وقد ظهر ذلك في الصراع الذي احتدم بينه وبين « تيامات » أو « تيامة » و « كنكو » ، وتغلب مردوخ عليهما . وهذا النصر الذي تم لمردوخ كان بصورة عنيفة وتمثل بشق « تيامات » نصفين ، وصنع السماء من أحد الشقين والارض من الشق الثاني، وخلق الانسانية المتمثلةبصورة الانسان الفرد بعملية مأساوية عنيفة والذي لقب بالهمجي ، بعد فصد عروق « كنكو » مدبر الثورة . وهذا تلميح الى الروح الشريرة التي ينزع اليها الانسان على اعتبار ان كنكو هو الشر .

والملحمة لا تخلو من فكرة جديدة كل الجدة ، والتي تعتبر من مبتدعات الفكر الاغريقي الافلاطوني الا وهو عالم المثل الذي خلقه الصانع (الله) وهو الذي يتكون من الموجودات المادية والمطابقة لما في عالم المثل . وان هذه الموجودات المادية في عالمنا ليست هي الا اشباها لصورها الحقيقية في عالم المثل. والفكرة هنا قريبة من قصة الكهف في جمهورية افلاطون . على مثال ما في السماء صنع ما في الارض (ملحمة الخليقة) . وهذه فكرة خلق العالم المادي والعالم المثالي . وبالاضافة الى ذلك ولتمام الصورة المثالية الافلاطونية ، تتذكر النفس الصورة الاولى في عالم المثل بعد ان ترى الصور والاشباح المادية في عالمنا الواقعي.

واذا انتقلنا الى (ادابا) ، يمكننا ان نجري حوارا بين تموز من ناحية وبروميثيوس من ناحية ثانية . فنجد في هذه القصة صراعا مريرا بين الالهة . فأن (آنو) رب الارباب ، يفزع وترتعد فرائصه ، لان احد الالهة دونه والمستسلمة لامره ، حاول تحديه وهو الاله « ايا » الذي خلق الانسان وعلمه اسرار الحياة واوضح له الغازها ، لكنه لم يتمكن من منحه الخلود والازلية وهو ما تتمتع به الالهة . والظاهر ان المقصود بهذه الاسرار والالغاز التي منحها الاله « ايا » للانسان هي العقل . وحينما تحكي هذه القصة تمكن الانسان من السيطرة على العواصف (الريح الجنوبية) ـ وهي اسرار الكون ـ بعد ان كسر اجنحتها فتوقفت لسبعة ايام عن العصف . وبانتباه (آنو) رب الارباب الى ذلك أراد معاقبة الانسان ، لكن لما وجده يتمتع بذكاء فائق حاذق ، عفا عنه ، واحال غضبه الى نقمة على الاله (أيا) . فقرر معاقبته بالذات وليس الانسان . وهذه القصة تذكرنا باسطورة بروميثيوس الاغريقية مع اسبقية الاولى . فان بروميثيوس ينال غضب الاله (زوس) وهو رب الارباب، بعد انكشف بروميثوس الاسرار الربانية التي يجب ان تظل طي الكتمان عن الانسان . وقد تم ذلك بتسليم بروميثوس الشعلة ـ رمز المعرفة النور ـ

للانسان • فاضطر (زوس) حفاظا على سلطانه الى انزال العقاب ببروميثيوس فعلا ، حينما امر باعتقاله وغله طيلة عمره الابدي، فتتعرض له العقبان بالنهش وهو معلول حتى تفكك عظامــه ، وهو يعاني صنوف العذاب جزاء فعلته النبيلة للانسان •

ان هذا التشابه ليس عضويا ، ولا مجرد تلاق في الفكر • فالمفروض ان العقل الانساني قد تطور وارتقى عبر ما لا يقل عن الفي عام ، حيث نضجت الحضارة الانسانيةفيصورة الحضارة الاغريقية ، بعد التطور الرائع في وسائل الانتاج ، بعد اختراع دولاب الخزاف والكتــابة وبعــد ان ظهرت النظم والقوانين وشرعت الشرائع اعتبارا من (بلالاما) ومرورا (باور كاجينا) وانتهاء بارقى شريعة قديمة وضعها (حمورابي) • وان ارتقاء العقل الانساني بهذا الشكل والسرعة كان يجب ان لا يظهر على شكل القصص والاساطير والملاحم المتمثلة بالالياذة والاوديسة• ولكن وجود حكايات وقصص واساطير لاتتناسب مع عصــر الفلسفة ذاك ، والفكر المبدع الخــلاق ، هو الذي يدعو الى الاستغراب • وعلى هذا فان التشابه الموجود بين هذه الاساطير والقصص يبرر لنا عملية التأثر والتقليد والمحاكاة ، بفضـــل الاتصالات الحضارية المعروفة بين الشعوب •

مـع ان المؤرخين والآثريين يلاحظون بأن اسطورة نزول عشتار الى العالم السفلي ليست بابلية بحت ، انما مصدرها سابق لذلك . فهي تعود الى العصر السومري بالف وشيجة ووشيجة. ومما يلاحظ أيضا وعلى بعد غورها التاريخي ، بأن ملامحهـا واجواءها واهدافها قد مرت في رحاب كثيرة ، منها وجد في الادب الاغريقي في مغامرات (اوديسيوس او يوليس) حينمـا تضيع سفنه التي تحمل رفاقه ، ويبقى هـو حيث تتناهبه جزر عديدة ويرى فيها الغرائب والأعجاب والاهوال التي يطاولها الواقـع بأي حال من الاحوال . وهذا قريب الشبه من الاهـوال التي لاقاها (تموز او دموزي) في هذه الاسطور وعشتار حينمـا نزلت تبحث عنه في العالم السفلي . ولكن هل يمكن ان ندعي بأن العقل البشري وصل الى هذه الملامح والاجواء والاهداف بانعزالية تامة وابتكار فائق ، يقرب من حد الاعجاز الفكري . وحينما قص القرآن صور الجحيم في سورة الاسراء وحينمـا تجسدت قصة الاسراء والمعراج في الادب الديني في حدود القرن الرابع الهجري ، لا يدل هذا على ان الفكر العربي لم يكن خصبا بهذه الافكار ، ولم يكن منقطعا عن الفكر البابلي في العراق . واذا عزلنا من ناحية ثانية بين افكار ابي العلاء المعري وبين التراث

الديني وبين نزول عشتار ، نجد ان هذه الفكرة قد خاض غمارها وحبكها باسلوب وشكل جديد في رسالة الغفران ردا على رسالة (ابن القارح) وليس من نافلة القول التطاول على دانتي وكوميداه • فمع كون بعض المفكرين يحاولون انكار الصلة قطعا بين الكوميديا ورسالة الغفران ويحاولون التدليل على اصالتها وجدتها ، فأنها محاولة اكيدة لغمط حق ابي العلاء في هذه الاصالة والابداع • بل لقد تجرأ البعض ولمجرد ان الناس لا يعرفون (رسالة الزوابع والتوابع) لابن شهيد الاندلسي المعاصر لابي العلاء المعري ، فاتهم ابي العلاء بأنه هو الذي سطا سطوا لا مجال للريبة فيه على ابن شهيد الاندلسي • نقول مع كل هذه المحاولات ، فان كوميديا دانتي ليست الا صورة جديدة اخرى مشابهة بالفكرة والاجواء لنزول عشتار • وانا اذا ننشر هذه الاسطورة مع اخواتها نأمل فتح باب مشرعة على الادب العالمي لوضع الموازين في انصبتها ، واعادة تدوين تاريخ الادب في العالم من جديد ، والا يبقى القديم على قدمه ، والاصالة المفتعلة لمن لا يستحقها •

ونحن هنا لا تهمنا التفاصيل سواء في نزول عشتار او مغامرات أوديسيوس ، لكننا نهتم بالملامح والاجواء والهدف •

فان نزول عشتار تؤكد وجود الفكرة الايحائية في الادب الاغريقي وربما في الادب العربي عند ابي العلاء . ونحن لا نريد الا ان نشير الى الجذر العميق الغور والمرمى الذي قصدته هـذه القصص والاساطير . وهذا ما يؤكد لنا معالجة كل فرد للقضية من الزاوية التي ينظر منها والرؤى التي اتضحت له والاجواء التي عاشها وما يجيش في نفسه والصراع في مجتمعه .

اما قصة الطوفان . فهي حدث واقعي فعلي ، وليس اسطورة من نسج الخيال . فلقد اثبتت الدلائل العلمية والتاريخية على ان العراق كان مغمورا بالميـاه والمتحجرات النفطيـة لحيوان « الفورامينيفرا » شاهد لذلك . وكـذلك وجـود المتحجـرات الحيوانية البحرية في كثـير من الحفريات في المناطق الرسوبية. ونحن لا نريد ان ندلل على صحة الطوفان او وهميته ، انما نريد أن نقول بأن الاسطورة السومرية الاصل التي بين ايدينا قـد سبق تدوينها تدوين التوراة الموجودة فيه بما لا يقل عن (١٥٠٠) عـام ان لم يزد . وقـد لا يدعـو الى العجب ان قلنـا ان النص التوراتي يطابق القصة السومرية والبابلية سواء بالاحداث أو الاجواء او الشخوص ذات الاثار الحدية في تحديد معـالم المعمورة آنئذ . ولا نريد ان نخوض ايضا كون حدث الطوفان

قد وقع في العراق وحده أو العالم كله كما جاء في القرآن الكريم او العهد القديم من الكتاب المقدس . ومن ناحية اخرى فان هذه القصة التي تتحدث عن هذه الحقيقة تؤكد على أنه قريب العهد وليس ببعيد ، كما يخال الكثير . فان تداول فكرته علــى مر العصور واستيعابه لتدوينه بعد اختراع الكتابة يؤيد هذا القرب.

وهذه القصة العجيبة تعطينا صورة نادرة عن الاجــواء المليئة بالصور والصراع ذي الزخم الحركي العالي بدقة فائقــة النضير ، يعبر تعبيرا جليا عما يجيش في نفس الفرد العراقي آنئذ من تمرد وثورة باعصارية متلاطمة تتشابك مع قوى الطبيعــة ذاتها . والصور الرهيبة التي نجدها في القصة لتدل دلالة واضحة على الصراع المحتدم بين الانسان والطبيعة التي تتجسد لتكون اثرا ادبيا خالدا سجله لنا هذا الانسان على رقم الطــين التي اضحت تضاهي اساطير العالم بأصالتها وزيادتها ، والتي تضيف الى الادب العالمي عطاء جديدا لا يقل هيبة وروعة عما سواه .

ـ الرمز في الاسطورة

نصطلح هنا فقط ، على جميع الاساطير التي ظهرت في وادي الرافدين باسم الاساطير البابلية ، فيكون بضمنها الاساطير السومرية والاكدية ، لعدة عوامل ، منها ان الاساطير التي هي أقدم من اساطير العصر البابلي سواء السومرية او الاكدية انها لم تدون في تلك الفترات المتقدمة ، وثانيا ، لان تلك الاساطير ايضا ، ظل امتدادها الفكري طيلة عصور طويلة ، فانتقلت فكريا من السومريين والاكديين الى البابليين . وما امتدادها الفكري هذا الا لصدق التعبير واصالته ، والا للترابط الوثيق بين فكر الانسان وامتداد جذوره في الواقع الاجتماعي ، ناهيك عن الدلالات الوضعية التي ينحرف الفرد عن التصريح بها ، فيضطر الى اللجوء الى الرمز والتلميح علما بأن اختراع الالهة في تلك العصور ، هو رمز واضح للتعبير عن مكنونات النفس البشرية وامنيات الانسان واحلامه .. والاضطرار الى الرمز يكون بفعل

التقديس حينما يكـــون المقصود الها أو ربا أو ملكا ، والتهيب والتحبب حينما يكون المقصود صديقا أو رفيقا والخوف أو التخوف حينما يكون المقصود ذا سيطرة نافذة وبطش قاس ليحتل محل الاله او الرب • ✗

قد يكون للرمز قيمة شمولية ومدلول عام • فكما ظهر الرمز للدلالة عن القوة والبطش في صورة الريح في الشعر الحديث ، سواء في الشعر الادبي أم في الشعر العربي ، فقد ظهر هذا الرمز أيضا في أقدم نموذج ادبي في العراق القديم ، الا وهو قصـــة (ادابا) [1] • فحينما عاكست الريح (ادابا) وهـــو في البحر ، جعلت النوء يخالف ما يروم وهو يتصارع لتحديد اتجاهــه و (ادابا) هو رمز الانسان المكافح الباحث عن قوته ، الذي يكد في طلب رزقه تحت الظروف القاسية • والريح هي القدر الذي يترصد هذا الانسان ويعاكسه ، حتى تغلق امامــه جميع ابواب العيش الهنيء • فالريح تعبير عن قدرة غامضة ، أو قل هو اله من الالهة العظام التي يتعبدها الانسان البابلي ويخافها ولكنه مع ذلك يرفض الانصياع لكل قراراتها • ولقد ظلت الريح رمزا للقـــوة والبطش حتى في القرآن الكريم •• اذ تكررت هذه الكلمة للتهديد والتخويف والعقاب : « فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات

لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون .»[٢] و « لئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون .»[٣] و « مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء، ذلك هو الضلال البعيد »[٤].كما انها ظلت في الشعر الادبي دليلا على الطغيان والقسوة والعتو .

وكما ظهرت في الاديان فكرة الجنة والنار (الجحيم) ، حيث يلقي الانسان الآثم عقابه ، سواء كان في الديانة الاسلامية أو المسيحية او اليهودية ظهرت ايضا فكرة الجحيم في الاساطير البابلية وابرزها نزول عشتار الى العالم السفلي[٥] (الجحيم) ، وهو رمز لمعاقبة الانسان الذي ينحرف عن القوانين الوضعية او العرف أو التقاليد ، حيث يتجلى نبل الدعوة للالتزام بالعطاء الخير . وقد نرى هذه الفكرة كذلك تنجلى فيما بعد في الادب العربي قديما (برسالة الغفران) في الرد على رسالة ابن القارح ، و (الكوميديا الالهية) للدانتي في الادب الاوربي في العصر الوسيط . ويمكن ان ندعي بأن فرويد طور فكرة الجحيم من العالم الخارجي الغيبي ، ونقله الى جحيم في العالم الواقعي (الداخلي) للانسان ، أي ذات الفرد نفسه ، وذلك في احلامه

والكوابيس التي تتصدى له ، واحيانا في امراض الهلوسة Halucination والعصاب Psychosis والفصام Neurosis التي تنتاب بعض الافراد ، حيث تم التماس الفكري بين هذا العالم في الادب والشعر الحديثين عند بودلير وادگار الان بو وكافكا وغيرهم .

ان الاحاسيس والمشاعر الداخلية للانسان ، والتي هي رد فعل للمخاوف القدرية Fatal او الطبيعية او الانعكاسات الشرطية Conditioned Retlexes للاعضاء ، تلعب دورا بارزا في مثل هذه الاحلام التي تجسدت في صور الظلام والعراء والعذاب في العالم السفلي ، كعقاب للانسان ، وذلك حينما اصطدم لاول مرة بفكرة الخلق ، والتي ظهرت بارزة في قصة الخليقة .

ولا شك ان كثيرا من الاعمال اللاخلقية التي يرتكبها المرء تجاه الاخرين والذين لا يمكن ان يطالهم القانون ، حتى ينالوا عقوبات تكون جزاء وفاقا لما ارتكبوا . هذا كله شد الكاتب او الاديب للتعبير عن روح الانتقام سواء كانت لديه ام لدى كل الفئات المظلومة والتي يقع على كاهلها العبء الاعظم من الرهق والظلم والطغيان . لذلك يتجسد هذا في الامنيات عند الانسان

والخير والهناء ، أو بالعكس من العذاب والالم والبؤس ، وقد كانت اسطورة نزول عشتار صورة وضاءة لمثل هذه الحالـة • فتلك الصورة المنكرة من العذاب واقسى انواع العقاب، والاحزان لهي تعبير عن تلك الرغبات المكبوتة التي يود تحقيقها كل فرد ، لكنه لم يجد لها متنفسا الا في عالمـه الداخلي هذا (الاحلام ، واحلام اليقظة) • فكان العالم السفلي في اسطورة عشتار هو الجحيم او جهنم التي ارتقت صورتها في الكتب السماوية (القرآن الكريم والانجيـل والتوراة) ، فيما بعد لتكون هي الصورة الملحقة والمتممة لحياة الانسان ككل • وفي هذا العالم السفلي (الجحيم او جهنم) تتجسد ايضا فكرة مساواة الناس مهما كانوا امام القانون الالهي على الاقل • فعشتار ، وهي احدى الالاهات تطبق عليها جميع المراسيم والشعائر ، مثلما تسري على جميع الافراد الذين يكون مصيرهم ، نزول ذلك العالم • وذلك لان هذه المساواة مفقودة في العالم الحقيقي (الواقعي) ، عالم الجسد (الوجود المادي) فلا اقل من ان تتمثل هذه المساواة في عالم الروح ، وعندئذ يشعر كل فرد في حياته المادية براحة تفسية بهذه الامنيات الخلابة التي يصورها له عقله الباطن ، ومعاناة عقـله الواعي من ناحية واستغلال تطبيق القوانين لصالح افراد ، هم

الفئة المستغلة من نبلاء واحرار وملك وحاشيته ورجال الكهنوت من ناحية ثانية ، ومخاوفه من مظاهر قسوة الطبيعــة المتمثلة بالفيضانات والبراكين والزلازل والامطار الجارفة والرياح العاصفة والحرائق والقحط والمحــل من نواح اخرى • ولان الانسان لا يقدر ان ينفذ جميع رغباته ، وقد يجد ان القانون لا يحمي كل الافراد ولان الاديب يكون دائما المعبر الحقيقي عن الرغبة في الثورة على المظالم وتحطيم القيــود ، لذلك نراه يشرع في صياغة افكاره المنعكسة عن الواقع الاجتماعي الذي تعفن بأوباء الشرور ، الرهق والاستغلال ، الاسرى ، سبايا الحروب ، عبيد الارض ، والجنود (وقود الحرب) ، كل هؤلاء يمثلون أدنى مستويات الاستغلال والحرمان من كل مقومات الحياة الشريفة أو السعيدة ، حتى زوجاتهم كن معرضات للاغتصاب ، مما كان حافزا قويا لتحريك قوى الخير عند المفكر او الاديب ليجسد ذلك في اعماله الادبية الخالدة ، التي قد لا تكون صريحــة التعبير ليتمكن من ان ينشرها بين الناس ، ولا يقع تحت طائلة الغضب أو العقاب • وقد تكررت صور العذاب والجحيم في العديد من النصوص الادبية السومرية أو البابلية ، وبالاخص في قصة(ادابا) ونزول عشتار الى العالم السفلي • ففي الاولى ، تمثل حركــة

(ادابا) وغضبه على الريح ، تمردا وعصيانا على الآلهة وثورة على سلطانهم . ثم يتم الصراع بغضب الالهة منه ومحاولة الانتقام ، بتوجيه صنوف العذاب عليه بمحاكمته في العالم السفلي حيث يكون « تموز وگيزيدا » [٦] هما حارسا باب الجحيم ، وهذان ايضا ، قد حشرا هنا عقوبة على ثورتهما ضد الالهة. وفكرة الحشر قد ظهرت جلية في الاديان السماوية ، وبالاخص في القرآن الكريم ، حيث تكون محاكمات للبشر للدخول الى الجنة أو الجحيم . وهذا ما يعرف بالحساب والعقاب . وقد تمت صورته بدقة فائقة في قصة « ادابا » حينما يبادر الى الاعتراف بخطأه فينال الغفران . والارباب في رأي البابليين تقبل الاستغفار وتمنح الغفران . ولان الغفران لا يمكن ان يمنح بصورة غير مشروطة لذلك افصح النص البابلي (لادابا) عن ان (ادابا) الذي ثار على الالهة وعصا اوامرها ، انما هو الممثل المثالي لذرية النوع الانساني ، وليس للالهة وقد حكمت الالهة على النوع الانساني حكما قاسياً باحاطة حياته بالصعاب والامراض والاوباء والمخاوف المرعبة ، حتى يظل حذرا خائفا وجلا طيلة حياته . وبعد صراع بين الالهة « عشتار » و «ايريشكيگال »[٧] و «أيا » [٨] نجد ان الغفران يمنح « لتموز » عشيق « عشتار »

بعد ان حكم عليه بالعذاب في العالم السفلي ، وقاسى منه ضروبا مختلفة • اما في « نزول عشتار فنجد صنوف العذاب التي توجه للمذنب يوم الحساب ، وعندئذ يستوي الحال على كل المذنبين ، لا فرق بين سيد ومسود ، ونبيل وعبد وغني وفقير • الناس سواسية ، ويكافأون على قدر الذنوب التي ارتكبوها لان الحياة الدنيا لا توفر مثل هذه المساواة ، فلا اقل من ان تتحقق في العالم الثاني •

***

ان فكرة الطيران على بساطتها كما جاءت في اسطورة « ادابا » لهي ايضا انعكاس شيق عن طموح الانسان لاكتشاف ما في العلاء • فقد شغلت فكرة الكون الغامض ، هذا الذي يحيط بالفرد ويعلوه بصورة خاصة ، ولم يجد سبيلا لتنفيذ هذه الفكرة لضعف امكانياته المادية الا ان يضع النسر في موضع ينفذ عن طريقه فكرة الطيران وسبر اغوار هذا الفضاء الفسيح • وان فكرة استغلال النسر في حلم للتعبير عن امنية ، لاشك يمثل مرحلة تاريخية من الناحية الحضارية في سلم التطور البشري • وهذا ما ساق « سيجموند فرويد » لاعتبار فكرة الطيران ، بانها تنفيذ رمزي للشبق الجنسي • وقد لعبت فكرة الطيران هذه دورا كبيرا في تطور خيالات الانسان وتحقيق رغباته ونقلها من

عالم الخيال الى عالم الواقع والتجربة . وهنا ايضا لا تعنينا فكرة فرويد بأن النسر هو رمز للشبق الجنسي السلبي ــ في سياق التحليل النفسي لذاتية الشخص الادبية ــ كما ورد ذلك في تحليله لشخصية الفنان الايطالي ليوناردو دافنشي ، على اعتبار ان النسر هو رمز لعضو التناسل الذكري كما يمثل بالقرائن في العبادات الفطرية لعضو التناسل الذكري بالاضافة الى العضو الانثوي ، ثم تطور هذا الى الرمز له بالنسر للمشابهة الجانبية بين وضعية عضو التناسل الذكري ووضعية رأس ورقبة النسر وجناحيه التي تمثل انسجاما شكليا بينهما ، انما المهم في هذه القضية وفي موضوعنا هذا ، هو ان الطيران وعلى ظهر النسر مع احتمال فكرة شبقية اللواط السلبي فيها ، الا انها ايضا تعبير عن فكرة الانطلاق والتحرر من كل قيد والتزام ، وذلك بالارتماء في احضان هذا الكون الفسيح ، وربما ايضا ارتماء في احضان اللذة الشبقية ، لانه ينعدم تأثير القيود والالتزامات ، ويفقد الانسان ، خلال ممارسته لها كل شعور بالاثم وتزول مخاوف الالتزامات ، وذلك لغيبوبته في شبق اللذة وانحسار العالم المادي وضغوطه في تلك اللحظات . ولاننا لا نعرف شخصية معينة كتبت هذه الاسطورة ، فأن تحليلنا جزئيا لن يؤدي بنا الى نتيجة

ذاتية ، انما كليا وفي معرض الشمول يقودنا الى معرفة سيطرة نفسية خاصة وآمال ورغبات منطلقة من تلك الكهوف والمنعطفات الشبقة التي تسيطر على الفرد الذي كتبها . وحتى لو صادف وان تطورت هذه النصوص الادبية على ايدي كتاب آخرين ، أو افراد من عامة ابناء الشعب عن طريق النقل او الرواية ، فأن تلك الاضافات المنسجمة مع البناء الاساسي تكون انسجاما ذاتيا أيضا في تحليـــل ذات الكاتب الاول ، والا فمن المحتمل ان لا تحدث هناك مثل هـــذه الاضافات فيما اذا كانت شخصية الراوي أو الناقل تختلف أو تتغاير في طموحها وترسبات تجاربهـــا . وبالطبع ان اكتشاف نخبة من الآثار الاسطورية او الاعمال الادبية تفسر بمقتضى هذا التحليل الجنسي الشبقي ، لا يعني ابدا سوء هذا الادب وقذارته او لاخلقيته ، بل بالعكس ، ان هذه الافعال قد تكون ردود فعل لاثر ظلم اجتماعي ، او قد تكون بسبب شعور الفرد بالانسحاق ذاتيا ، فيدعوه ذلك الى الثورة على الظلم والقوى المتسلطة عليـــه ، المغتصبة لحقوقـــه بمختلف صنوف السيطرة او الاغراء أو الحرمان . لان هذا الفرد ما هو الا حصيلة تضاد القوى وصراعها في الميدان الأجتماعي والسياسي والمادي لقوى الطبيعة التي فرضت عليه مثل ذلك الشعور وجعلته يتصرف

ذلك التصرف حتى ينحرف في شبقية الجنسية المثلية (السلبية) كما تومىء الينا اسطورة « ادابا » • وليس غريبا ولا بدعا ان يكون رمز رب الارباب (المشتري) في حضارة (الحضر) هو (النسر) الجاثم وليس الطائر ، مما يدل دلالة اكيدة على التعبير الجنسي لحالة النسر وهو الجثوم وليس الطيران •

اما اذا اردنا ان تتطرق الى ملحمة « گلگامش » (٩) فلابد من الاشارة الى وجود ثلاثة اهداف فيها الاول هو قصة الطوفان وازالته معالم المدنية ، وقد نجرؤ ونقول المعالم الحضارية ايضاً• الهدف الثاني هو مشكلة الخلود الذي يخالج الرؤيا الانسانية واعجاب الانسان بديمومة الخالق ومحاولة تشبهه بالخالق او معرفة سر بقاء وخلود الاله • والهدف الثالث هو بطولة الانسان ومغامراته في سبيل بلوغ امانيه وتحقيق آماله • وقبل ان نباشر في تفسير ماجريات تلك الاحداث ورموزها ومقاصدها ، لابد من الاشارة الى ان ملحمة « گلگامش » والطوفان هي سومرية الاصل ، لكنها قريبة الى العصر البابلي لذلك حينما سجلت بين النصوص السومرية ، نراها انتقلت بسرعة وبدقة وامانة الى الادب البابلي (٤٨٠٠ ــ ٢٤٠٠) ق•م ونجد نفس القصة في التوراة ، ولكنها بدون ذكر التفاصيل الدقيقــة وهي الجانب

الادبي الروائي في النص البابلي • ثم نجدها ايضا في النصوص الاسلامية وبالاخص في القرآن الكريم • كما اننا نجدها افكارا منثورة في كثير من النصوص الاغريقية مع وجود نص صريح بنفس الاسم الذي ورد في الاساطير البابلية وفي التوراة والقرآن الكريم •

ان المغزي الاول في هذه الاسطورة وهو الفيضان الذي يمثل عملا جنسيا رامزا لعملية الاخصاب بهذا السيل الذي يحيط جوانب الارض المعروفة آنئذ ، ثم ينبت بعد هذا السيل الجارف النبات وتنتشر الزروع ، تماما كما لو كان هذا هو سائل الحياة الذي يفيض في رحم المرأة ليخصب البيضة ، فتكون الحيـاة وينمو الجنين بعد هذا الفيض الحيوي ، نتيجة العمل الجنسي• ولا غلو في هذا المغزى ولا اغراب فالحياة الاولى تكونت من الماء وفي الماء وبالماء • اي ان هذا الثلاثي للماء يمثل اتحادا فعليا لظهور الحياة في الكون • وهذه النظرية ما زالت هي المشهورة في تكون الحياة ، فليس باجحاف ان ظل تصور الحياة مرتبطا ارتباطا تفسيا بالماء ليكون دلالة رامزة لعملية الاخصاب ، والتلذذ بمنظر الماء « المطر » وسيلانه وطغيانه ما هو الا تلـــذذ شبق جنسي • فالطوفان تعبير اصيل عن عملية الاخصاب والتوالد ، اذ

بعد ان زالت معـــالم الحياة بطغيان الماء نرى عملية الاخصاب تتجدد بعد هذا الطوفان الذي تشير اليه سواء ملحمة «گلگامش» أو « الطوفان » أو « الخليقة » ايضا ، اذ ان عملية الطوفان تردد ذكرها صريحا في هذه الاساطير الثلاث بدرجات مختلفة مـــن التفصيل • وفي الفصل الرابع من ملحمة « گلگامش » يروي اتونابشتم (نوح) قصة الطوفان لگلگامش ، وفيها تفاصيـــل دقيقة ، وتصريح بالرغبة في هلاك البشر الذين كانوا يعيشون آنئذ لفسادهم وتبديلهم بغيرهم [١٠] فأن الاله « أيا » اله الحكمة يلوم رب الارباب « انليل » على فعلته لغضبه على البشر وهلاكه لهم اجمعين ــ فهي محاولة لتفسير مسألة الخلق • ومع كل ذلك فان الماء هو رمز الخير والخصب والاخصاب ايضا • وبالاضافة الى ذلك فان مسألة الخلود قد احتلت مكانة كبيرة ، ســـواء في قصـــــة الطوفان « شخصية زيوســـدرا [١١] في گلگامش شخصية « أتونابشتم » حينما يمنح صفة الخلود مثـــل صفات الالهة • وهذا ما نجد له شبها ايضا في القصة القرآنية ولو ان القرآن لم يقرر خلود النبي (نوح) مثلما قرر خلود عيسى بن مريم والخضر باعتبارهما يتمتعان بصفة الخلود • ولا بد لنـــا من التأكيـــد هنا على وقوف الانسان مشدوها ومحتجا ايضـــا

امام سر الحياة ، ورغبته في الخلود ورفضه للموت الذي هـو مصـيره وان رغبــة « گلگامش » حفيــد « اتونابشتم ــ زيوسدرا ــ او « نوح » في القصص الدينية ، انما هي الخلود اما أسفاره الطويلة ومغامراته العجيبة وتكبده المشاق وتحمله الالتزامات والانصياع لها ، لهي ذات دلالة رائعة على هذه الرغبة في البحث عن سر الحياة (الخلود) • وبالطبع ونظرا لاستحالة الخلود بالنسبة للجنس البشري نجد ان « اتونا بشتم (نوح) ينبىء گلگامش بعد تلكؤ ، ان يأخذ من نبات الخلود ، حتى يظل خالدا كالالهة • ولكن وبصورة غريبة تسرق الحية نبات الخلود من گلگامش ، وعندئذ يضيع منه سر الخلود ، وهذا يطابق ما ورد في التوراة والتفاسير الاسلامية للقرآن الكريم • وتتجـد ايضا فكرة الخلود في الاساطير البابلية حينما ينصح الاله « ايا » « ادابا » بأن لا يشرب ماء الموت الذي يقدمه له الاله «آنو»[١٢] حين استدعائه الى العالم السفلي ومحاكمته ، فان الاله « آنو » اعجابا بشخصية الانسان العاقل « ادابا » المتحدي للالهة بدون خوف او تراجع ، وهو مطمئن الى ما يسمع ، يقرر مع نفســه ان يمنح له الحياة الابدية بأن يطلب تقديم خبز الحياة ليأكــل وماء الحياة ليشرب • ولكن « ادابا » يرفض ما يقدم اليــــه

فيضحك « آنو » منه ويسأله [١٣] .

تعال الان يا « ادابا » ! لماذا لم تأكل ولم تشرب .
خذوه عني ، ارجعوه الى ارضه .
لن تكون لك حياة ازلية آه ايها الانسان العنيد .

وهكذا تضيع الفرصة من الانسان مرة اخرى ، في صورة « كلكامش » في المرة الاولى وهذه المرة في صورة « ادابا » لان الالهة منحت الخلود مرة واحدة للانسان في صورة «اتونابشتم» أو « زيوسدرا » :

اعز « آنو » و « انليل » ، « زيوسدرا »
منحاه حياة كحياة الاله ،
نفحا فيه روحا ازلية كروح الاله .

ان هذه المجادلة على بساطتها وغيبيتها تدل على انشغال الجنس البشري منذ اقدم العصور بالاهتمام بمسألة الحياة والخلود ، وقد لا نبالغ اذا قلنا ان الانسان في العصر الحديث ما زال يتطلع الى مسألة تجديد الشباب ، بل الخلود ايضا ولان الانسان لم ينل سر الخلود ، فانه شرع يحاول الوقوف موقف النقيض الافقي تجاه الالهة فهو يشاكس ويتشبه بهما ويستعطفها احيانا . فكلكامش يتشبه بها على اعتبار انه من احفاد

مشابهين للآلهة ، الا وهو « اتونابشتم » أي (نوح) و(انكيدو) يستعطفها لانه نفحة من نفحاتها ، بينما يسخط عليها ويشاكسها « ادابا » بتحديه الرياح التي تسيرها ضده الآلهة . ان وقوف الانسان هذا الموقف المثلث يكمن وراءه الصراع المتزاخم لاعتدادة بشخصه واعجابه بصفاتها ، ولكن الحزن يتملكه حينما يجد نفسه انه لا يقـارن ابدا بالآلهة التي تسيطر على العـالم ، وتلعب بمصائر الجنس البشري ومقاديره . وان تجسيد ملامح البطولات الخارقة للفرد الانسان التي تثير الاعجاب والغرابة انما هي هدف الفرد آنئذ للتغلب على شعوره بالضعف من ناحية والاستصغار من ناحية ثانية .

وقبل ان يشتد الصراع بين الالهة في الاساطير الاغريقية نلاحظ هذا الصراع محتدما في الاساطير البابلية ، فكان صراع « مردوخ » رب الارباب و « سميتر » و « كومبات » من ناحية، و « تيامات » و « كنكو » (١٤) من ناحية ثانية ، والصراع بين « ادابا » و « أيا » من ناحية و « آنو » من ناحية أخـرى ، و « عشتار » و « أيا » من ناحيـة و « ايريشكيگال » مـن ناحية أخرى .

وهناك مسائل كونية وفلكية في كثير من الاساطير البابلية

منها ما هو تلميح تكمن في ثناياه بشائر مكتشفات علمية ، ومنها ما هو تصريح تتبدى فيه تساؤلات الانسان وتفسيراته لغوامض الكون وحركة الافلاك . فالقمر ينتقل في تسع وعشرين برجا على مدار الشهر القمري ، ثم تتوزع السنة على ثلاثة بروج

وجعل القمر يشرق واستدعى له الليل

صيره كائنا ليليا لتوقيت الايام (١٥).

ان هذه النظريات العلمية في الفلك دللت على حقيقتها الثابتة بعقل البابلي الثاقب ، مع قلة ادواته لدراسة المسائل الفلكية في تلك الحقب الموغلة في القدم ، التي لم يمض على الانسان حين طويل من الدهر للانتقال من عصر فجر السلالات « الحضارة الاولى » المتصلة بالعصر المعدني المتأخر ، الى عصر النظام الملكي الموحد للامارات المتناثرة .

اقترب من فلك الشمس في اختفائك .

هنا اشارة الى دخول القمر في المحاق باقترابه من فلك الشمس بالنسبة للوجه الذي يقابل الارض حيث يختفي بنور الشمس .

بعد ان خلق « أيا » الحكيم ، النوع الانساني

فرض عليه عبادة الالهة (١٦) .

ويتصاعد الزخم الفكري من خلال الكونيات والآراء الفلكية حتى ينعقد متوترا خلال القضايا الفلسفية التي يطرحها الفكر البابلي بما انطبعت به الجماهير من تساؤلات عن الغوامض والمعميات من ماورئيات الحياة. ويمكن حصر القضايا التي عولجت: الحرية والشك والمسؤولية والثورة . ويمكننا ان نلاحظ هذه الامور في حوارية السيد والعبد [١٧] فان السيد كان يشك في مقدار ما تنعم به الالهة على الانسان جزاء ما يقوم به ، ولكنه من ناحية اخرى يشعر بالمسؤولية الجسيمة امام مأساة الناس الذين يقاسون من ويلات الجوع والعراء والطغيان امام الامراء والآلهة ايضا ولان هذه الحوارية ترجع الى العصر الاكدي المتقدم فاننا نعجب باصالة الفكر البابلي لرفض العبودية والطاعة العمياء فنجده يحتقر العبد الذي يصر على البقاء عبدا ومن لا يؤمن بالثورة أو على الاقل الاحتجاج سواء كان ذلك امام الالهة او الملوك . ومع ان الانسان المؤمن بالثورة لا يجد من ينفذ معه هذه الثورة ويحققها لانقاذ وجوده من البؤس ، الا انه لا ييأس ولا ينهار ، انما تظل الثورة تعتلج ــ ولو حلما ــ في نفسه ، ويثور على من يخافون الثورة ، أولئك الذين يمثلون القطاع الاعظم من الشعب الا وهم العبيد ورقيق الارض (الفلاحون) .

سلمان التكريتي

قصة اداپا مجلة التراث الشعبي العدد ٨/١٩٧٠
ص ٢٣
(٢) القرآن الكريم سورة فصلت الآية ١٦
(٣) القرآن الكريم سورة الروم الآية ٥١
(٤) القرآن الكريم سورة ابراهيم الآية ١٨
(٥) اسطورة نزول عشتار مجلة التراث الشعبي العدد ١١/١٩٧٠ ص ٥٥
(٦) تموز هو دموزي السومري ، اله الخصب والزراعة لدى البابليين ، وقد نفته زوجته عشتار الى العالم السفلي وكانت تحبه قبل زواجها منه
نزيدا اله فى العالم السفلي لدى البابليين وقد نفي مع تموز واصبحا هناك حارسين
(٧) ايريشكيگال الاهة العالم السفلي وأخت عشتار وزوجة نرگال اله العالم السفلي
(٨) ايا اله الحكمة فى الارض والهواء
(٩) ملحمة گلگامش ترجمة الاستاذ طه باقر ط ١٩٧١
(١٠) ملحمة گلگامش ص ١٢٣
ركب گلگامش و اورشنابي » فى السفينة
انزلا السفينة فى الامواج وهما على ظهرها

لقد ابصر الاسرار وعرف الخطايا المكتومة
وجاء بانباء ازمان ما قبل الطوفان ص ٥١

ان الالهة العظام قد حملهم قلوبهم احداث الطوفان
اجتمعوا وكان معهم ابوهم انو ص ١٢٧
واحمل فى السفينة بذرة كل حي .... ص ١٢٨
(١١) زيوسدرا بطل الطوفان فى الاساطير السومرية ، كما

اتو ــ نبشتم بطل الطوفان في الاساطير البابلية ، الــذي يقــابل (كسيسماوثروس) في الاساطير الاغريقية ، وهو نوح في القرآن الكريم

(١٢) انو : اله السماء ورئيس الالهة عند البابليين وهـــو (آن عند السومريين

(١٣) قصة (ادابا) مجلة التراث الشعبي العدد ١٩٧٠/٨

(١٤) ملحمة الخليقــــة

The Ancient Near East Pritchard

(١٥) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كــل في فلك يسبحون القرآن الكريم ســورة الانبياء الآيــة ٣٣

هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، وما خلق الله الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون سورة يونس الآية (٥)

(١٦) القرآن الكريم ان هذه امتكم امه واحـــدة وانا ربكم فأعبدون سورة الانبياء الآية (٩٢

(١٧) محاورة « بين السيد والعبد » التراث الشعبي العدد ١٩٦٩/٣ ص ٦١



ملحمة اكدية

ملحمة الخليقة

« ان الصـراع بين النظـام الكوني العماء Chaus
كان بالنسبة لما بين النهرين القديم رواية تتجدد في مفتتح كل عام . وهذه الملحمة تروي هذه الاحداث . فهي تعبير ذو معزى في الادب الديني لما بين النهرين . اما هذا الاثر فيشتمل عـلى سبعة ألواح ، كانت معروفة في الادب الأكدي باسم (انوما ايليس) حينما في العلى ـ بعد الكلمات الافتتاحيـة . وكانت تروى بخشوع في الايام الاربعة من احتفال السنة الجديدة .

لكن لا يوجد هناك اتفاق عام يوضح تاريخ كتابتها ، كما لا يوجد نص سبق تدوينه في الالف الاول قبل الميلاد . ووفقا لدلائل المعيار اللغوي والنصي ، فان اغلبية العلماء يؤكدون على ان الملحمة تعود الى الفترة البابلية المتقدمة ، أي الجزء الاول من الألف الثاني قبل الميـلاد . ولم يظهر اي رأي ينقض هـذا التاريخ » .

[ان الالواح من ١ ـ ٣ تروي ميــلاد الالهــة الذين]
[ولــدوا من اصــل « أبسو » و «تيــامات » واختيــار]
[« مردوخ رئيسا للالهــة الشباب في الحرب ضد « تيامات»]

(١) ان هذه الحركة من التوالد فى ملحمة الخليقة ، تذكرنا بقصة اخرى عن خلق حواء من ضلع آدم ، ســواء فى القصص الشعبي أم فى القصص الديني ، بالاخص ما جاء فى التوراة ومشابهتها لما ورد فى الاساطير السومرية أو البابلية والقصة السومرية عن كيفية هذا الخلق ، تتلخص فى ان الاله « انكي ـ أيا ـ مرض يوما فى ضلعه والضلع بالسومرية هي تي) وهذه الكلمــة تعني ايضا (احيا) ، فدعيت له الاهة لتشفي مرضه ، فسميت هذه الالاهة نن ـ تي) أي سيدة الضلع) السيدة التي تحيي وهي ننخرســاك » التي تعــرف باسماء اخــرى هي ننتو وننماح وهذا ما يوحي بأن القصة الواردة فى التوراة التي تروي عملية خلق حواء من ضلع آدم ، لها صلة بهذه الاسطورة السومرية

اما توالد الآلهة قبل مردوح فى ملحمة الخليقة هذه فهي ان ابسو ـ اله الميــاه العذبة تزوج من تيامات الاهة الميــاه البحرية المالحة ، تولد لهما الالهان « لخمو ولخامو انسا ومن انشار وكيشار ابد آنو وزوجته ننخرساك ولــد الاله أيا اما مردوح الاله الذي تدور حوله ملحمة الخليقة فهو ابن الاله ايا

اللوح الرابع

اختاروا له عرشا فخما .

جلس مستقبلا آباءه ، متصدرا مجلسهم

انتم يا انبـــل الالهة العظـــام .

ارادتكم لا تدانى ، وسلطتكم هي « آنو

انتم « مردوخ » [٣] انبل الآلهة العظام .

ان ارادتكم لا تدانى ، وكلمتكم هي « آنو

سيكون كلامكم ابتداء من هذا اليوم قاطعا

التشريع ومنح القانون ــ سيكون في ارضك

سيكون كلامك صادقا ولن ترقى الريبة الى امرك .

لن يتجاوز احد الآلهة حدودك

ن الزينة ضرورية لمجالس الالهــة .

---

(٢) آنو هو اله السماء ورئيس الآلهة عند البابليين وهو عند السومريين

(٣) مردوح هو رئيس الآلهة عند البابليين وسلطته بعــد « آنو » .

اجعل مزاراتهم دائمـــا في مكانك

اجل يا « مردوخ » انك المنتقم لنـــا

منحناك ملكية العـالم كله .

حينما تجلس في المحفل ، ستكون كلمتك سامية .

واسلحتك لن تخيب ، وهي ستمحق خصومك

ايها الرب ابق على حياة من يثق بك ،

لكن اسلب حياة الاله الذي فعل الشر

ثم وضعوا بينهم رداء ووجهـوا كلامهم الى ابنهـم البكـر

« مردوخ

يا ربنا ان ارادتكم حقا هي الاولى بين الآلهة

قل او حطم اخلق فسيكون لك ما تريد .

قل كلمة وسيختفي الرداء .

تكلم ثانية فسيعود الرداء كما كان » .

وبكلمة من فمه اختفى الرداء .

وحينما تكلم ثانية ، عاد الرداء .

اما حينما رأى اباؤه الآلهة ثمرة كلمته ،

اعلنوا ولاءهم بسرور « مردوخ اله ! »

منحوه الصولجان ، والعرش وحلة الكهنوتية

منحوه سلاحة فريدة ليدرأ بها خطر الخصوم

« اذهب واسلب حياة « تيامات » [٤] .

وستحمل الريح دماءها الى بقاع مجهولة

هكذا تحدد مصير بيل » واباؤه الالهة

جعلوه يخب في طريق النصر ونوال كل شيء .

صنع قوسا وجعله سلاحا له ،

ربط به الوتر ، وثبت السهم

رفع الصولجان ، ثم قبض عليه بيمناه .

وتنكب القوس والكنانة تحت ابطـــه .

اطلق البرق امامـــه .

وشحن جسمه باللهب المتـأجج .

ثم صنع شبكة ليصطاد بها تيامات

اوقف الرياح الاربع لكي لا يهرب منها شيء .

الريح الجنوبية ، والريح الشمالية والريح الشرقية ثم الريح الغربية

يجر الشبكة الى جانبه هدية ابيه « آنو

---

(٤) تيامات هي أم الآلهة ، والاهة المياه المالحة (البحرية

(٥) بيل اسم لمردوخ اله بابل

واخذ معه « امحولو » الريح الهوجاء ، والريح العاصفة والزوبعة.
الريح الرباعية والريح السباعية التيار والاعصار السريع التي
لا نظير لها .

اطلق الرياح التي اتى بها اولا وهي سبعة .
لاثارة « تيامات » من الداخل ، وهم يصعدون خلفه .
ثم رفع الرب العاصفة الطاغية سلاحه العنيف .
وركب العربة الزوبعة العنيدة ـ مرعبا
سلحها ، وشد الى نيرها اربعة خيول .
القاتل والظالم والمدمر والسريع
كانت اسنانها حادة وتسيل منها السموم .
كانت ماهرة في التخريب ، بارعة في الدمار
جعل سميتر المخيف الى يمينه في المعركه
والى يساره « كومبات » الذي يصد الثوار
تالفع بعباءة مدرعة بالرعب ،
ثم لف رأسه بهالة مخيفة
تقدم الرب ، وتابع طريقه
ادار وجهه نحو « تيامات » الحانقة .
ثم القى رقية من بين شفتيه ؛

بينما كان يمسك بيده نباتا يتفجر منه السم

فتشتتوا من حوله تشتتت الآلهة من حوله

تشتتت الالهة من حوله ، وتشتتت اباؤه ايضا

اقترب الرب ليتفرس في احشاء « تيامات »

تشعر زوجها « كنگو » [٦] بالخطة المدبرة .

واضطربت خطتـــه حالما رآها

وحارت ارادته ، ثم ارتبكت اعمـــاله .

وحينما هبّ الآلهة لمساعدته ، وهم يسيرون الى جانبه ..

رأوا بطلهم الباسل ، فغامت عيونهم .

وعندها اطلقت تيامات صرخة مدوية دون ان تلفت رقبتها.

لتوقف التحدي الوحشي من شفتيها

« انك عظيم الشأن ، لكي يقاومك رب الارباب

هل اجتمعوا في مكانهم ام في مكانك ؟ »

اثار الرب عندئذ العاصفة الطاغية ، سلاحه العنيف ،

لاغضاب تيامات قال الكلمة التالية

لماذا ثرت انت الجليلة بكبريائها ،

انك شحنت قلبي ، بأثارة النزاع .. فنبذ الابناء آباءهم ،

(٦) كنگو هو زوج الالاهة تيامات التي اعلنت الثورة .

بينما انت التي انجبتيهم ، واقسمت على حبهم
انت التي جعلتِ « كنگو لك زوجـا .
منحتيه هيبة « آنو » التي لا يستحقيها شرعا .
سعيت في الشر من اجل « انشار » [٧] ، رب الارباب .
وحققت الشر ضد آبائي الآلهـة .

انني استخف باسلحتك مع ان قواك منظمة ،
قومي نتقابل انا وانت ، في مبارزة فردية !
حينما سمعت هـــذا « تيـامات
اصبحت كالمأخوذة ، وفقدت مشاعرهـا
صرخت « تيـامات » بغضب ،
واصطفقت ساقاها من عروقهمـا
وهي تتلو سحرا ، وتلقي رقيـة ،

بينما كان آلهة الحرب يشحذون اسلحتهم
اشتبكت « تيامات » و « مردوخ » اعقل الالهه جدا
في مبارزة فردية والتحما في معركة
نشر الرب شبكته لأصطيادها

(٧) انشار هو اله يعتبر أبو اله السماء « آنو عنـد البابليـــين .

فتبعتـــه الريح الشريرة فأطلقها في وجههـــا •

وحينما فغرت « تيامات » فاها لالتهامه

ادخل فيها الريح الشريرة ، فلم تتمكن من اطباق شفتيها •

وحينما ملأت الريح الضارية جوفها ،

تمدد جسدها ، وانفتح فمها الى آخره •

فاطلق السهم ، وبقـــر بطنهـــا ،

وهكذا قهرها واطفـــأ حياتها •

القى جثتهـــا ليقف عليهـــا •

وبعد ان ذبح « تيامات » ، زعيمتهم

تفرقت عصابتهـــا ، وتشتتت فريقها

مؤيدوها الآلهة الـــذين كانوا الى جانبها يقفون

رجعـــوا وهم يرتعدون فرقاً •

انقاذا وحمـــاية لارواحهم

فلقد طوقوا تماما ، ولم يتمكنوا من الهرب •

قيدهم ، وكسر اسلحتهم •

والقاهم في الشبكة ، فوجدوا انفسهم قد وقعوا في الفخ •

وضعهم في زنزانات صخابة بالعويل ؛

فتحملوا سخطه ، وهم معتقـــلون •

والاحد عشر مخلوقا الذين شحنتهم بالرعب
عصابة العفاريت التي تسير .. امامها
قيد ايديهم بالاغلال ..
وسحقهم باقدامه جزاء مقاومتهم ،
و « كنگو » الذي كان قائـــدهم
قيده ، وقدمـــه الى « اوگاي » [٨]
اخذ منه الواح القدر التي لم تكن له شرعا
وختمها بالختم وشدها الى صـــدره
وحينما قهر خصومه وتغلب عليهم
اخـــذ .. أعـــداءه المتكبرين
فوطد نصر « انشار » الكامل على الاعداء
وتحققت رغبة « نوديمود » [٩] و « مردوخ » البطل
قوى قبضته على الآلهـــة المتكبرين
ورجع الى « تيامات التي قيدها .
داس الرب على ساقي « تيامات
وبصولجانه المهيب هشم جمجمتها

---

(٨) اوگاي الـــه الموت عنـــد البابليـــين
(٩) نوديمود اله الماء والحكمة والمعرفة وهو لقب الاله « انكي » ومركز عبادته في « اريدو المعروفة الآن «ابو شهرين» .

وحينما فصد عروق دمهـــا

حملتها الريح الشمالية الى اماكن مجهولة .

فسر اباؤه وابتهجوا لما رأوا .

فقدموا له فروض الولاء .

وقف عندئذ الرب ليرى جثمانها المسجى ،

كان لابد ان يمزق الوحش ، ويقوم باعمال مدهشة .

شقها كالصدفة الى شقين :

اطلق شقا ، وصنع منه السماء ،

هدم الحاجز واقام الحرس .

امرهم ان لا يدعوها تستقي الماء لئلا تهرب

عبر السموات ، ثم قسم الاقاليم

ضاعف اقاليم « ابسو » [١٠] وجعلها ضعفي مقام « ديمود »

حينما كال الرب مساحة « أپسو

حدد « اشارا » [١١] المقام العظيم ، على مثاله

ان « اشارا » هو الذي صير المقـــام العظيم فلكا

---

(١٠) ابسو اله الميـــاه العذبة الاول

(١١) اشارا : احـــد الالهة البابلية العظيمة .

حيث جعل منه مواضع « لآنو و« انليل »[12] و « أيا»[13].

***

اللوح الخامس

بنى مواضع الآلهة العظام ،
معينا بروج كواكبهم على مثال بروج الكواكب
وقت العام ، بتعيين افلاكهـا .
انشأ ثلاثة بروج لكل الاثنى عشر شهرا
بعد توقيت ايام العام باعدادها السماوية
خلق مقام « نبيرو »[14] لتعيين المجاميع السماوية ،
حيث لا يتجاوز احدها الحد ، ولا يقل عنـه
وانشأ الى جانبها مقامي « انليل » و « أيا »
فتح الابواب في كل من الجانبين .

---

(١٢) أيا الـه الحكمـة فى الارض والهـواء
(١٣) انليل اله الهواء والعواصف عنـد البابليين وزوج ننايل
(١٤) نبيرو الكوكب زحـل ، ويقع بين مجموعة الشمال التابعة لانايل ومجموعة الجنوب التابعة لأيا .

عزز الاقفال التي على اليسار والتي على اليمين •
بنى في جوفها « قبة السماء »
جعل القمر يشرق ، وسخر له الليل
صيره كائنا ليليا لتوقيت الأيام
« كوّن اشكالا اكليلية ، شهريا ، بدون توقف •
فبشروقك على الارض اول الشهر ،
سيكون لك قرنان منيان ، تشير الى ستة ايام •
وفي اليـوم السابع تقترب من النصف •
سيكون لك قرنان منيران ، تشير الى ستة ايام
والشمس تجري وراءك في كبد السماء
ثم صغر اكليلك ، وتقهقر نحو النور
اقترب من فلك الشمس حينما يحين وقت الغياب
وفي اليوم التاسع والعشرين ستقابل ثانية وجه الشمس »

« ... بقية اللوح مكسورة لا تصلح للترجمة ... »

***

---

(١٥) المقصود هنا ، مقابل الشمس

اللوح السادس

حينما سمع مردوخ كلمات الآلهة

الهمة قلبه ليقوم بأعـال معجزة

دعا « أيا » فاغرا فاه

ليبلغه بالخطة التي دبرها في سره

« ساصنع العظـام من الدم

سأخلق منها الهمجي ، وسأسميه (الانسان)

سأخلق الانسان الهمجي متناسقا

سأكلفه بخدمة الآلهة ، لكي تكون مرتاحة

سأبدل أساليب الآلهة بمهـارة .

واقسمهم الى فريقين ، وهم يتمتعون بذات الاحترام »

اجابه « أيا » ، قال له كلمة ،

اعطاه خطة اخرى لينجـد الآلهـة

« دع أحد الاخوان يضحي

فهو وحده سيهلك ذلك الانسان الذي خلق .

ادع الآلهـة العظام هنا الاجتماع ،
ضح بالمذنب قربانا عما يكابدون » .
دعا « مردوخ » الآلهة العظام الى الاجتماع ؛
ترأس وهو يتلطف باصدار المراسيم .
اشرأبت اعناق الآلهة لكلامـه

وجه الملك كلمة الى « الانوناكي » (١٦)
اذا كان قراركم الاول صحيحا ،
قولوا الحق ، وصرحوا لي بقسمكم
من هو الذي دبر الثورة
وجعل « تيامات » تتمرد ، وتشتبك في الحرب ؟
دعوا من دبر الثورة يضحي
سأعذب من اذنب ، حتى تعيشوا في سلام .
قال له « الايگيگي » (١٧) ، الالهة العظام
الى « لوكال‌ديميرانكيا » (١٨) ، مستشار الالهة وربهم

---

(١٦) الانوناكي : اسم عام او اسم جنس يطلق على جميع آلهة السماء والارض ومنهم اصبحوا قضاة فى العالم الاسفل
(١٧) الايگيگي اسم جمع لآلهة بابل
(١٨) لوكال ديميرانكيا رب ارباب السماء والارض عند البابليين

« انه « كنكو » الذي دبر الثورة ،

وجعل « تيامات » تتمرد وتشتبك في الحرب » •

قيدوه ، ثـم اوقفوه امام « أيا » •

قرروا تجريمه ، ففصدوا شرايين دمه •

وخلقوا من دمه الانسان

فرض العبادة ، وحرر الآلهة •

بعد ان خلق « أيا » الحكيم ، الانسان •

فرض عليه عبـادة الآلهة ـ

كان ذلك العمل بعد تفكير وتأمل ؛

لقد خلقه « نوديمود » كما كان يتصوره مردوخ ـ

قسم « مردوخ » رب الارباب

جميع « الانوناكي » ، من هم في الاعلى ومن هم في الاسفل

عينهم لتنفيذ تعليمـات « آنو » •

وضع ثلاثمائة منهم حرسا في السماء

وحدد طرق الارض على هذا المثال •

واسكن ستمائة منهم في السماء والارض

ثم بعد ان اصدر جميع تعليماتـه ،

وزع الاسهم على « أنوناكي » السماء والارض ،

فغر « الانوناكي » افواههم

وقالوا « لمردوخ » : ربهم

لقد خلصتنا الآن ايها الرب

فماذا ستكون هبتنا لك ؟

دعنا نبني معبدا وسندعو أسمه

ها ، مجلس راحتنا ، حيث نستريح فيه

دعنا نبني عرشا ، مأوى لأقامته

سنستريح فيه يوم نصل اليه

وحينما سمع هذا مردوخ » ،

تلألات قسماته بهاءً كالنهار

« شامخا شموخ (بابل)[19] ذات العمارة التي تمنيتها ،

مر بصنع الطابوق ، فستسميه (المعبد) » .

طلب (الانوناكي) العدة ،

وجبلوا الطابوق لمدة عام بالتمام

واذ اقبل العام الثاني

ارسوا في العلى قمة (ايساگيلا)[20] نظيرا (لأبسو)

(١٩) بابل : عاصمة البابليين ، مازالت آثارها قائمة لحد الآن قرب الحلة وتبعد ٩٠ كم عن بغداد جنوبا

(٢٠) ايساگيلا معبد الاله « مردوخ » فى بابل .

بنو برجا مدرجا بشموخ (ابسو) ،
اشادوا فيه مقاما (لمردوخ) و (انليل) و (أيا)
زخرفه بحضورهم بابهة
كان قرنان يتطلعان الى قاعدة (اشارا)
وبعد ان اقاموا بناء (ايساگيـلا) ،
اشاد (الانوناكي) انفسهم معابدهم .
.... اجتمعوا كلهم ،
.... بنوا مثـــل مقامه .
اجلس آباءه الآلهة الى مائدته
« هذه هي (بابل) ارض الوطن
اقيموا الافراح على ارباضها ، واملأوا جميع الساحات » .
اخذ الآلهة العظام اماكنهم ،
واقاموا حفلة شراب ، ثم جلسوا الى المائدة
بعـــد ان طربوا خلالها ،
اقاموا شعائرهم في « ايساگيلا » الرائع
حددوا القواعد ورصدوا الشؤم
واحصى جميع الآلهة مواقع السماء والارض .
اخذ الخمسون الها مواضعهم

اشاد آلهة القدر السبعة ، الثلاثمائة موقع في السماء
رفع « انليل » القوس ، سلاحه ، والقاه امامهم .
رأى آباؤه ، الآلهة ، الشبكة التي صنعها .
حينما رأوا القوس ، وما كان ابدع منظره ،
بارك آباؤه العمل الذي قام بـه .
قال « آنو » يمجده في مجلس الآلهة ،
وحينما كان يقبل القوس « هذه هي ابنتي
نعت القوس بالتـالي من الاسماء
الاول ، القوس الكبير ، الثاني هو .....
اسمها الثالث هو قوس النجوم الذي جعلته يتلألأ في السماء» .
عين موضعا حيث اخوانه الآلهة ، .....
بعد ان اصدر « آنو » ارادته على مصير القوس ،
ووضع العرش الملكي المجيد امام الآلهة
وضعه « آنو » في مجلس الآلهـة .
حينما اجتمع الآلهـة العظـام
وجعلوا ... القدر الذي مجده « مردوخ » ،
امنـوا انفسهم
مقسمين بالماء والزيت بأن يحيطوا الحياة بالخطر .

حينما منحوه حق الربوبية على الآلهة

ايدوه في السيطرة على آلهة السماء والارض •

أعلن « انشار » [٢١] اسمه الرفيع « اسارولوحي »

« دعونا نسجد بخشوع ، حالما يذكر اسمه ،

فحينما يتكلم ، على الآلهة ان تنتبه له •

دعوا كلامه يسمو في العلى والدنى

ان ولدنا رفيع وقد انتقم لنـــا ؛

فدعوا سلطته تسمو ، فلا ينافسه احـد

رعى مخلوقاته ، ذوي « الرؤوس السود » [٢٢] •

دعهم يستحسنون خططه ، دونما نسيان حتى نهاية الزمان

فيقرر القوانين لآبائه العظام

سيمدون معونتهم ويرعون معابدهم •

سينشر عبير البخـور ••• رقاهـم

وعلى مثال ما في السماء ، صنع ما على الارض •

يأمر ذوي الرؤوس السود لتكريمـه

---

(٢١) انشار : هو ابو الالـه « آنو » عنـد البابليين وابن الالهين لخمو ولخامو »

(٢٢) ذوو الرؤوس السود : المقصود بهم هنا الناس البابليون لغلبة صفة سواد الشعر عليهم

الرعيـــة تضع الالــه نصب اعينهـــا

وبكلمة منه يصعون للألاهة .

يحملون القرابين الى آلهتهم والاهاتهم

دعوهم يعضدون آلهتهم دونما خيبـــة

دعوهم يصلحون اراضيهم ، ويبنون معابدهم ،

دعوا ذوي الرؤوس السود يبجلون آلهتهم .

اما نحن فمهما كانت الاسماء التي اطلقناها ، فهو الهنا

دعونا اذن نعلن اسماءه الخمسين ...

قصة اكدية

ادابا



« ان قصة « ادابا [٢٣] تساهم مع ملحمة گلگامش في اضاعةالفرصة حول عقدة الانسان ، لبلوغ الخلود . وهي تقع في اربعة الواح قيمة . واقدم هذه الالواح الاربعة واطولها هــو اللوح الثاني ، وقد جاءنا من سجلات (العمارنة) [٢٤] لاربعة عشر قرنا ق.م . بينما اكتشف الالواح الاول والثالث والرابع في مكتبة آشور بانيبال . وعرض هذه القصة هنا انما هو عرض نصي ماعدا اللوح الثالث الذيلايطابق اقسام اللوح الثانيتماما».

(٢٣) ادابا احد ملوك مملكة شومر

(٢٤) العمارنة : موقع اثري في مصر ، وجدت فيه رسائليرقى عهدها الى (١٥٠٠) ق.م

حكمـــــة .

كانت وصيته ... مثل وصية « آيا تماما

حباه بالفهم الواسع للكشف عن مخططات الارض

منحه الحكمة ، ولم يمنحه الحيـاة الازليـة

في تلك الايام ، وفي تلك السنين ، خلق « أيا

عاقل اريدو [٢٥] في صورة الانسان

وهذا العاقل ــ لن يتمكن احد من عصيان امره

لقد كان القدير على كل شيء ، وهو بين « الانوناكي » حكيم،

انه الطاهر الذيل ، النقي اليدين ، المعمدان رب الشعائر

يصنع الخبز مع الخبازين

يصنع الخبز مـع الخبازين في « اريدو

(٢٥) اريدو احدى المدن السومرية الخمس التي سبقت الطوفان

(٢٦) المعمدان اصطلاح لكاهن التدهين وهـو الكاهن المسؤول عن تدهين الاشخاص تعميدهم الذين يتقدمون الى المعبد لاداء الفروض الدينية وتقديم القرابين وقد يكون هـذا الطقس او الشعيرة الدينية ، بداية لشيوعها في الاديان السماوية كالمسيحية والصابئة الذين يعمدون يوم الزواج في الماء الجاري

يزود « اريدو » كل يوم بالخبز والماء ،
يرتب بيديه النقيتين مائـدة القربان
والمائدة لن تنطهر بدونه
هو يدير دفة السفينة ، ويقرر صيد الاسماك « لاريدو »
في تلك الايام كان « ادابا » واحدا من أبناء « اريدو
بينما ... « ايا ... على سريره ،
كان يواظب على الذهاب الى معبد « اريدو »
ارسى قاربه في المرسى المقدس ، مرسى القمر الجديد
عصفت عندئذ الريح هناك ، وجرفت قاربه
... في اليم العريض .

(البقيـــة مخرومة)

ب

. .

عصفت به ريح الجنوب واغرقته ،
جعلتـه يعوص الى مواطن الاسماك
يا ريح الجنوب ... علي كل غضبك

سأكسر جناحك وحينما نطق بهذا لسانه
.كـ جنح ريح الجنوب • ولسبعة ايام
لم تعصف ريح الجنوب على الارض • ودعا
آنو كاهنه « ايلابرات
« لم لمْ تعصف ريح الجنوب على الارض هذه السبعة ايام ؟ »
اجابه كاهنه « ايلابرات » « مولاي ،
ن « ادابا » بن « أيا » كسر جناح
ريح الجنوب • » وحينما سمع « آنو » هذا المقال ،
صرخ ، « الرحمة » قائما من عرشه « دعوهم يفتشون عنه
هناك
امسكه « ايا حينذاك الذي يعلم ما في السماء ،
وامر « أدابا » ان يرسل شعره ، ويرتدي ملابس الحداد
.ذره واعطاه هـــــذه النصيحـــة
« انك ذاهب يا « ادابا الى الرب « آنو »
انك ستأخذ الطريق الذي سينتهي بك الى السماء • وحينما تصعد
الى السماء ، وتقترب من باب « آنو » ،
ستجد « تموز » و « گيزيدا » (٢٧) عند باب « آنو

---

(٢٧) تموز هو (دموزي) عند الشومريين الاله الراعي،

ستجدهما واقفين ، وحينما يرونك سيقولان لك « أيها الرجل
من اجل من فعلت هذا ؟ يا « أدابا » من أجل من ؟
انت ترتدي ملابس الحداد ؟ » ترونني هكذا لأن
الهين قد اختفيا من ارضنا .) « من هما هذان الالهان اللذان
قد اختفيا
من ارضكما ؟ » سيرمق « تموز وگيزيدا احدهما الآخر
وسيبتسمان كلمة طيبة هما
سيقولان « لآنو ، و « آنو » ذو وجه رؤوف
سيجعلانك تقابله ، وحيما تمثل امام « آنو
سيقدمون لك خبز الموت
فعليك الا تأكله . وحينما يقدمون لك ماء الموت

وهو اله الخصب والزراعة لدى البابليين وقد نفته زوجته
عشتار) الى العالم السفلي ، مع انها كانت تحبه قبل زواجها
منه، وعصت امر اخيها « اوتو » اله الشمس ـ لدى (الشومريين)
وهو شمش لدى البابليين ـ حينما اراد ان يزوجها من «انكمدو»
الاله الفلاح او اله القنوات بينما هي كانت تفضل عليه (دموزي)
أو تموز) ، وهو يقابل (ادونيس) فى الاساطير الاغريقية
اوزيروس » فى الاساطير المصرية الفرعونية وميلاد «تموز»
يحدث كل عام فى الصيف ، وقت الحصاد ، فتبدأ النساء بالبكاء
والنحيب بعد ان قررت عشتار ذلك
گيزيدا هو اله فى العالم السفلي عند البابليين، وحارس
باب « آنو » .

عليك الا تشربه . وحينما يقـدمون لك حـلة
البسها . وحينما يقدمون لك الزيت ، ادهن به جسدك
هذه هي النصيحة التي امنحها لك ، فلا تهملها ، والكلمات
التي قلتها لك تشبث بها ان رسول
« آنو » وصل (قائلا ما يلي) يا « ادابا من كسر جناح.
ريح الجنوب ، آتوني بـه
حينما صعد الى السماء واقترب من باب « آنو
كان « تموز وگيزيدا يقفان عند باب « آنو
حينما رأيا « أدابا » صرخا ، « الرحمة !
ايها الرجل من اجل من فعلت هذا ؟ يا « ادابا »
اجـل من ترتدي ملابس الحداد ؟
« اختفى الهان من ارضنا ــ فارتديت
ملابس الحداد « ... من هما الألهان اللذان اختفيا من ارضكم؟»
رمق « تموز وگيزيدا » احدهمـا الآخـر
ثم ابتسما . وحينما مثل « ادابا » امام « آنو » الرب.
دنا ، فرآه « آنو » ثم قال
« تعال الآن يا « ادابا » ، وقل لماذا كسرت
جناح ريح الجنوب ؟ اجاب « ادابا » « آنو » : مولاي

في سبيل عائلة سيدي ، كنت اصطاد السمك
في وسط البحر . البحر كان صافيا كالمرآة
لكن ريح الجنوب عصفت بي ، واغرقتني ،
جعلتني اغوص الى موطن الاسماك . ومن حنق قلبي
لعنت ريح الجنوب . فأثنى « تموز عليه ،
والتمس گيزيدا كلمة طيبة من آنو
فأطمأن قلبه حينما كان ....
لماذا كشف ايا للانسان التافه
سر السماء والارض ،
جعله ممتازاً ومنحه اسما ؟
ماذا سنفعل من ناحيتنا له ؟ احضروا له
خبز الحياة حتى يأكل » ، وحينما احضروا له
خبز الحياة ، لم يأكل ، وحينما قدموا له
ماء الحياة ، لم يشرب . اما حينما احضروا له
حلة ، فأنه لبسها وحينما احضروا له
الزيت ، لم يدهن به جسده
لكن « آنو » ضحك منه حينما نظر اليه
« تعال الآن يا « أدابا » ! لماذا لم تأكل ولم تشرب ؟

لن تكون لك حياة ازلية ! آه ، ايها الانسان العنيد ! »

ن أيا ، يا سيدي ،

هو الذي امرني ، قال لي لا تأكل ، ولا تشرب !

« خذوه عني وعودوا بـه الى ارضه

(البقيـــة مخرومة)

ج

حينما سمع « آنو » هـــذا ،

من حنق قلبـــه

... انقـــذ رسولا

... الذي يعرف قلوب الآلهة العظـام ونواياهم ،

ذلك لأنـــه

ليصـــل ... « أيا » الرب

ناقش المسألــة

... الى « أيا » ، الرب

• •

... العاقل الذي يعرف قلوب الآلهة العظام

السماء ٠ ٠ ٠

٠٠٠ الذي جعله يترك شعره مسترسلا ،
والبسه ثياب الحداد
منحه نصيحة ، قائلا له هذه الكلمات
يا (ادابا) انك ذاهب الى « آنو » الرب
فلا تهمل نصيحتي ، بل تشبث بكلماتي

د

هـو

امر له بالزيت ، ودهن جسده ،
امر له بحلة فلبسها ٠
قهقه « آنو عاليا من عمل أيا وقال
آلهة السماء والارض مثل العديدين
يوصي بمثل هذه الوصية
هكذا لكي تذوق وصيته وصية « آنو ؟ »
حينما القى « أدابا » نظرة من افق الارض
الى علياء السماء رأى جلالها
هكذا حكم « آنو على « أدابا
اصدر ارادته بالافراج عن مدينة « ايا

اصدر ارادته بتمجيد الكهانة في المستقبل قضاء وقدرا

... بالنسبة « لأدابا » ، ذرية الانسان

من ... مثال المولى ، كسر جناح ريح الجنوب

صعد الى السماء ــ واماما ــ

أشر ما جلب للانسان

والمرض الذي جلبه لاجسام الناس

هذه ما ستخففه ننكارك (٢٨)

ترفع الداء وتبعد المرض

على هذا تنزل الرعب

تتركه في وسن عذب ولا تدعه يهجع

... فرحة قلب الانسان

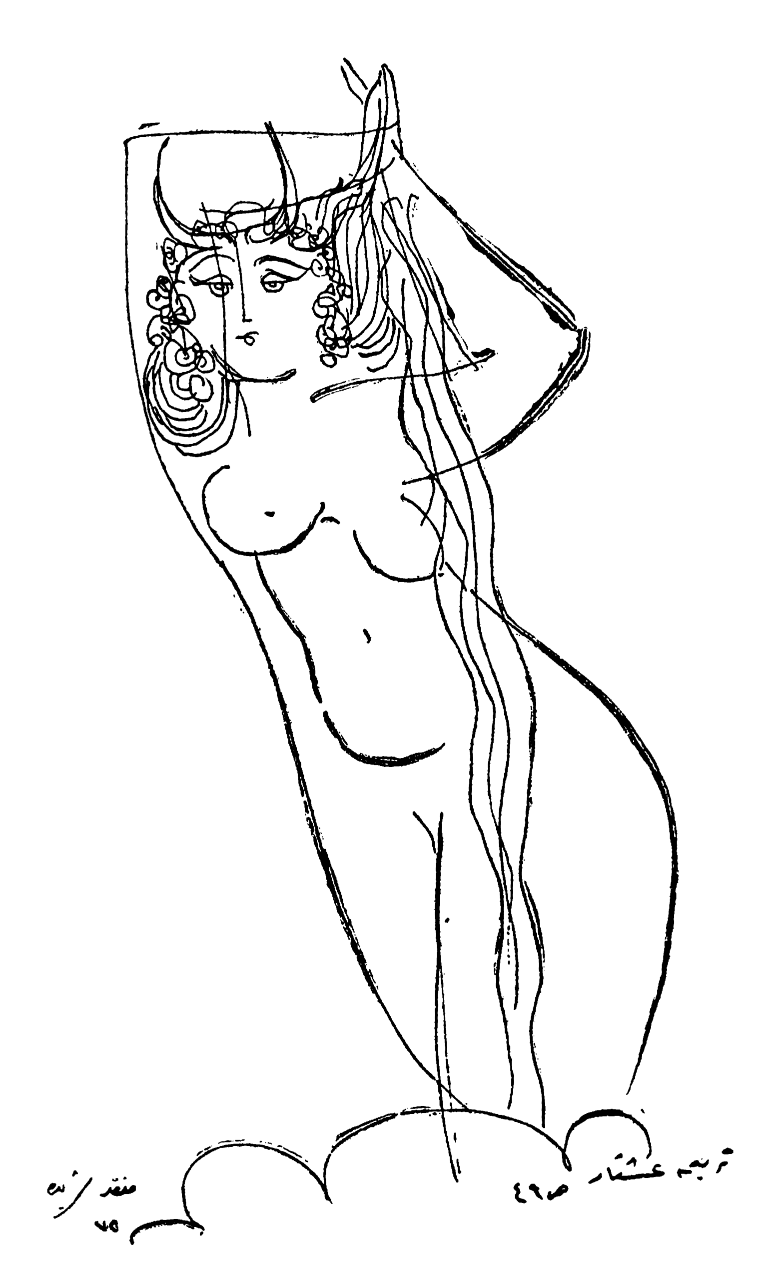
. . . .

(البقية مكسورة)

---

(٢٨) ننكارك الهة الصحة عند الاكديين، وقبلهم «الشومريين» وقد استمرت عبادتها حتى العصر البابلي الاخير .

نزول عشتار الى العالم السفلي


ترنيمة عشتار ص ٤٦
منقذ رشيد
٧٥

« ان عقدة هذه الاسطورة هو اعتقال إلهة الخصب
ـ اينانا الشومرية او عشتار الاكدية ـ ب مملكة الموتى
ورجوعها الاخير الى عالم الحياة • والنص المسماري موجود في
النسخ الشومرية والاكدية • والرواية الشومريه بدائية تماماً
ولكن مع ان الرواية السامية ذات نقاط التقاء بالمصدر السابق ،
فأنها مجرد ترجمة عن الشومرية قطعا •

---

(٢٩) عشتار الاهة الحب والخصب وملكة السماء عند البابليين ، وهي اناتا) عند الشومريين ، انها زوجة ـ تموز ـ اله الخصب والزراعة وتقابلها افرودت)في الاساطير الاغريقية فينوس في الاساطير الرومانية

(٣٠) ان الدكتور جبرا ابراهيم مترجم كتاب ما قبل الفلسفة نشر مؤسسة فرانكلن الاميركية في الفصل الاول استعمل كلمة اثيوبي وذلك تعريبا للكلمة ـليزيـة Metnopeic التي تعني الاسطوري كلمة الاسطورة والاسطوري في لغتنا العربية لهما دلالاتهما ودقتهما التعبيرية فلا اجد مبررا ولا شيء ذا مغزى من تعريب المترجم الفاضل لهذه الكلمة بهذهالصيغة ؟ ! اما ان اعتقد بأن هذه الكلمه ـ الاسطوري ـ لا تفي بالمعنى فهنـاك الخرافة الخرافي ، والترهة والترهي ، على اعتبار ان الاسطورة قريبة بمعناها من الخرافة والترهـة، ولن يكون في ذلك اي تجاوز وان لغتنا العربية عامرة النحت والاشتقاق والامتصاص ، ولكن ليس بهذه الطريقة العقيمة .

التوجه

الى ارض اللاعودة ، مملكة « ايريشكيگال » (٣١)

تطلعت « عشتار بنة « سين » (٣٢)

تطلعت ــ يبا ــ ابنة « سين »

الى بيت الظلمة ، موطن ــ اركالا ــ (٣٣)

---

(٣١) ايريشكيگال : الاهة فى العالم السفلي عند البابليين وأخت عشتار وزوجة (نرگال) اله العالم السفلى وان العالم السفلي المسمى كور) فى الاساطير الشومرية هو عالم الاموات وفيه آلهة ورئيس آلهة أيضا والظاهر من الاساطير الشومرية والبابلية ان آلهة وآلهات العالم السفلي ، هم آلهة مغضوب عليهم ومنفيون فيه ، كما هو الحال مثلا بالنسبة لتموز زوج عشتار أنايل الذي اغتصب (ننايل وكذلك انكيدو) اله القنوات والذى و (گيزيدا ننازو ننگيزيدا

(٣٢) سين اله القمر عند البابليين ، وقد ولد من اغتصاب ننايل) من قبل الاله « انايل الذي نفي الى العالم السفلي.

(٣٣) اركالا اسم لآلاهة العالم السفلي ايريشكيگال » زوجة « نرگال » اله العالم السفلي

الى البيت الذي لا يتركه من دخله
الى الدرب الذي لا عودة منه
الى البيت الذي يفقد فيه من دخله البصر
فيكون التراب قوتهم ، والطين طعامهم
ولا يرون الضياء ، ويقيمون في ظلام دائم
حيث يتسربلون مثل الطيور بحلل الاجنحة
وحيث يغطي التراب الباب والمزلاج
وحينما وصلت « عشتار بوابة ارض اللاعودة
قال للخازن هذه الكلمات

ايها الخازن افتح الباب
افتح الباب التي اروم الدخول منها
ان لم تفتح الباب ، ولم اتمكن من الدخول •
فسحطم الباب ، واهشم المزلاج
سحطم نصبة الباب ، سأهز الابواب ،
سانهض الموتى وابتلع الارزاق
وعندئذ لن تستوعب الحياة عدد الموتى
فتح الخازن فمه ليتكلم
لاعشتار المعظمة

« قفي يا سيدتي ، ولا تقلعيها

انا ذاهب لاعلان مقدمك الى الملكة « لايريشكيگال »

ودخل الخــــازن قائلا « لايريشكيگال »

هي ذي اختك عشتار تنتظر عند الباب ،

هي من دعت الاحتفالات العظمى ، ومن اثارت الأعمــاق امام

أيا الملك

وحينما سمعت ايريشكيگال هــــذا

شحب وجهها مثل عود الطرفاء المقصوفة

بينما ازرقت شفتاها مثــل القصبة الزرقاء

« ما الذي دفع قلبها الي ؟ ما الذي ساق روحها الى هنــا

ها أسأشرب الماء مع الانونا كي ؟

اسأكل الطين خبزا ، واشرب الماء الكــدر جعة ؟

اسأندب للرجال الذين تركوا زوجاتهم خلفهم حائرات ؟

اسأندب للشابات الحسان اللائي اتنزعن من احضان عشاقهن ؟

اذهب ايهــا الخــازن ، وافتح لهــا الباب ،

عاملها وفاقا للمراسيم القديمة »

تقـــدم الخازن ليفتح لهــا البــاب

« ادخلي يا سيدتي ، فلربما تبهجك ــ كوثى ــ (٣٤)»

ذلك لان مقر ارض اللاعودة ربما يبتهج بمقدمك

وحينما ادخلها الخازن من الباب الاولى نضـ التاج العظيم

واخــذه عن رأسها.

« لماذا نضوت ايها الخازن ، التاج العظيم عن رأسي ؟ »

« ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي »

حينما ادخلها من الباب الثانية نزع القرطين ، واخدهما من اذنيها

« لماذا نزعت القرطين ، ايها الخازن ، واخذتهما من اذني ؟ »

« ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

حينما ادخلها من الباب الثالثة، نضا القلادة واخذها من جيدها

لماذا نضوت ايها الخازن القلادة عن جيدي

« ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

حينما ادخلها من الباب الرابعة نزع الحلي ، واخذها من صدرها،

« لماذا نزعت ايها الخازن ، الحلي من صدري ؟ »

« ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

حينما ادخلها من الباب الخامسة ، نضا زنار التميمة واخذه من

---

(٣٤) كوثى اسم لمدينة تقع قرب مدينة بابل ، وهي اسم العالم السفلي عند الشومريين ، وقــد عرفت فيما بعــد باسم « كوتو » المدينة الاكدية ، وقد تكون حرفت فأصبحت « الكوت»

خصرها

« لماذا نضوت، ايها الخازن ، الزنار التميمة واخذته من خصري؟»

« ادخلي يا سيدتي هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

حينما ادخلها من الباب السادسة ، نزع الاساور عن يديها واخذ الخلاخيل من قدمها .

« لماذا نزعت ايها الخازن الاساور من يدي ، واخذت الخلاخيل من قـــدمي ؟ »

« ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

حينما ادخلها من الباب السابعة ، نضا المئزر واخذه من جسدها.

لماذا نضوت ايها الخازن المئزر واخذته من جسدي ؟ »

ادخلي يا سيدتي ، هذه هي مراسيم سيدة العالم السفلي.

وحـــالما نزلت « عشتار » الى ارض اللاعودة ،

ورأتها ـــ ايريشكيگال ـــ انصعقت بمرآها .

جرب « عشتار » نحوها دون تأمل

---

(٣٥) المقصود بهذه التميمة ، انما هو حجر الميـــــــلاد Birthstones وهي في الاساطير والمعتقـــدات شعبية تدل على ان لكل مولود حجر ميلاد للشهر الذي يولد فيه وهـذا الحجر هو تميمة تقية من السرور وتحميه من النوائب والنوازل

فغرت « ايريشكيگال » فاها لتتكلم

قالت لكاهنها « نمتار » هذه الكلمات

« اذهب يا « نمتار » واسجنها في قصري

سلط عليها ، على عشتار الستين عذابا

عذاب العيون على عيونها

وعذاب الجوانب على جوانبها

عذاب القلب على قلبها

وعذاب الاقدام على اقدامها

عذاب الرأس على رأسها

على كل شلو من اشلائها وعلى جميع جسدها !

وبعد ان نزلت « عشتار » الى العالم السفلي

نزا الثور ، لكن ليس على البقرة ، وواصل الحمار ولكن ليس الاتان ،

يوا صل الرجل في الطريق ، لكن ليس الفتاة

ويضطجع الرجل في غرفته الخاصة ، والفتاة تضطجع على جنبها .

الوجه الثاني

اكفهر محيا « پاپسوكال » كاهن الآلهة العظام ، وغام وجهه .

كان متسربلا بالحداد ناثرا شعره الطويل ،

تقدم « پاپسوكال » باكيا ، نحو ابيه « سين

وانصبت دموعه امام « ايا » الرب

نزلت « عشتار » الى ارض اللاعودة

نزا الثور ، لكـــن ليس على البقرة ، وواصل الحمار ، لكـــن ليس الاتان ،

يواصل الرجل في الطريق لكن ليس الفتاة .

ويضطجع الرجل في غرفته الخاصة ، والفتاة تضطجع على جنبها» .

تصور بعقـــــله صورة

فخلق « اسوشونامير » الخصي

.سوشونامير » والتفت نحو باب ارض اللاعودة ؛

ان ابواب ارض اللاعودة السبع سوف تنفتح لك ،

ستراك « ايريشكيگال » وتبتهج لمرآك .

وحينما يسكن قلبها ، ويهدأ روعها ،

دعها تنطق بيمين الآلهة العظام

ثم ارفع رأسك ، وفكر بغرارة ماء الحياة :

« صلي يا سيدتي ، ودعيهم يعطوني غرارة ماء الحيـــاء ، من ذلك المـــاء الذي شربتـــه » .

حالما سمعت « ايريشكيگال » هــذا ،
ضربت فخــذها ، وعضت بنانها
« انك ترجوني شيئا لا يمكن رجاؤه
تعال يا « اسوشونامير » فسألعنك لعنـة
قاذورات المدينـــة ستكون طعامك ،
مياه المدينة القـــذرة ستكون شرابك
ظـل الجدار سيكون مقامك ،
وصيد البـــاب سيكون موطنك ،
والخوف والعطش سيقرعان وقاحتك
عندئذ فغرت « ايريشكيگال » فاها لتتكلم
قائلة هذه الكلمات لكاهنها « نمتار »
« قم يا « نمتار » واطرق « ايكال جينا » [٣٦] ،
زين وصيد الباب بالمرجـان
جيء « بالانوناكي » واجلسهم على عرش من ذهب
انثر ماء الحياة على « عشتار » وخذها من امامي

---

(٣٦) ايكال‌جينا هو قصر العدالة ، حيث يجتمع مجلس الآلهة لمحاكمة الآلهة الخطاة واصدار الاحكام عليهم ونفيهم الى العالم السفلي ، وقـد يشابه هـذا جبل الاولمب عنـد الاغريق ومجلسه الالهي

تقدم « نمتار » وطرق « ايكال جيـــــا » ،

ثم زين وصيد الباب بالمرجان ،

جاء « بالانوناكي » واجلسهم على عروش من ذهب

ونثر ماء الحياة على « عشار » ، واخذها من امامها .

حينما خرج بها من الباب الاولى ،

اعاد لها مئزر جسدها .

وحينما خرج بها من الباب الثانية ،

اعاد لها اساور يديها وخلاخيل قدميها .

وحينما خرج بها من الباب الثالثـــــة ،

اعاد لها زنار التميمـــة ولف به خصرها .

وحينما خرج بهـــا من الباب الرابعـــة

اعاد لها حلي صـــــدرها .

حينما خرج بها من الباب الخامسة ،

اعاد لهـــا قلادة جيدها

وحينما خرج بهـــا من الباب السادسة ،

اعاد لها اقراط اذنيها .

وحينما خرج بها من الباب السابعة ،

اعاد لها تاج رأسها .

ان لم تعطك ثمن فديتها ، فعذبها
اما « تموز » حبيب صباهـا ،
فاغسله بالماء الطهور وادهنه بزيت الزيتون ،
والبسه حلة حمراء ، واطلقه يعزف على الناي الصخري •
ودع البغـايا يعيرن خلقـه •
وحينما نظم بيليلي » جواهرهـا
وامتلأ حجرها بالاحجـار الكريمـة
نثر « بيليلي » الجواهر حين سماعه صوت أخيهـا •••
هـكذا ملأت الجراهر الكريمـة •••
« ان اخي الوحيـد لم يؤذني !
في اليوم الذي يظهر لي « تموز » ، ويظهر معه الناي الصخري،
والخاتم العقيقي الاحمر
حينما يظهر لي معه الرجال النائحون والنساء النائحات ،
ينهض الموتى ويشمون رائحـة البخور

اسطورة سومرية

الطوفان


٧٢
الطوفان

« تتعلق هذه الأسطورة بالطوفان ، وهي تكمل اسطورة نوح لما قبل « الطوفان » وتعرض لنا هذه الاسطورة مطابقة تكاد تكون تامة ومشابهة للنص التوراتي ، الذي لم يكن معروفا في الادب الشومري ومما يزيد في الامر قيمة ، ان المقاطع التمهيديه هي تلميح جيد لنظرية الخلق في (ما بين النهرين) ، حيث تتضمن عددا من الشروح الجيدة المتعلقة بخلق الانسان ، واصل الملكية وخمسة مدن على الاقل مما سبقت الطوفن »

حوالي ٣٧ سطرا مخروما

ايها الانسان ! وانت في دمارك نحن سوف .. (٣٦)

ساعيد « لننتو (٣٧) ... مخلوقاتي

---

(٣٦) من المحتمل ان يكون المتكلم اكثر من اله واحد

(٣٧) ننتو هي احدى الالاهات الخالقة الي عرفت أيضا باسم ننخرساك و ننماخ وكانت تعد زوجة الاله « آن » عند الشومريين .

ساعيد الناس الى مواطنهم ،

من المدن التي ينشئون فيها سوح شعائرهم المقدسة ، واجعلها

ظـلالا للطمأنينة

وبيوتنا التي يضعون احجارها في رحاب طاهـرة ،

تلك الرحاب التي صممناها لتكون في بطاح طاهرة .

انـه هو الذي ارسى ... السـور .

اكمالا للشعائر الدينية والتقاليد المجيدة المقدسة .

على الارض هـو اجـل ... هنـاك

بعد ان خلق « آنو » و « انليل » و «انكي»[38] و«ننخرساك»[39]

ذوي الرؤوس السود ـ النـاس

والنبات المثمر في الارض

والحيوانات ـ مخلوقات ـ البر ذوات الاربع التي ظهرت

بروعة للوجـود .

. .

حوالي ٣٧ سطرا مخروما

---

(٣٨) انكي اله الماء والحكمة وهو اسم الاله

(٣٩) ننخرساك الالاهة الأم وهي ننتو و « ننماخ .

بعد ان هبطت ... الملكية من السماء

بعد ان هبط ــ الاكليل ــ المقدس وتاج الملكيه

اتم [٤٠] الشعائر المجيدة والتقاليد المقدسة

واوجد المــدن الخمس في ... بطــاح طاهره

ودعاها باســمائها ومنحها سلطاتهــا الدينية

ــ اريدو ــ اول هذه المدن وقد اعطاها الى نوديمود ــ القائد

ــ بادتيبيرا ــ [٤١] الثانية واعطاهــا ...

ــ لا راك ــ [٤٢] الثالثة واعطاها الى « اندربلخورساك » [٤٣]

ــ سيبار ــ الرابعة ومنحها للبطل آوتو [٤٥]

---

(٤١) بادتيبيرا اسم لمكان شومري سومري قامت فيــه مدينة والآن غير معروف بالضبط

(٤٢) لاراك موضــع شــومري سومري قــديم ربما هــو ارك او (اوروك) او الوركاء التي يطابق أحيانا عليها اسم الوركاء) ، وموضعها معروف جنوب العراق

(٤٣) اندربلخورساك احد الألهة ، وهو حامي مدينة لاراك .

(٤٤) سيبار مدينة شومرية سومرية تقع بين بغــداد والمحمودية وتعرف ابوحبة

(٤٥) آوتو اله الشمس وهو اخو اننانا » ــ عستار البابليــــة .

شروباك ، الخامسة ، منحها الى « سُد » (٤٦)

وحينما سمى هذه المدن منحها سلطاتها الدينية (٤٧)

اعطى

وفي الانهـــر الصغيرة وضع الروح الطهور

حوالي ٣٧ سطرا مخروما

الطـــــــــوفان

هكذا كانت معاملة . . .

ثم انتحبت ننتو » مثـــــل .

(٤٦) شروباك مدينة شومرية (سومرية تقع قرب السماوة وتعرف الآن فارة

سد الاهة بابلية ، وهي حامية مدينة شروباك » مع الالاهة ننايل زوجة « انليل

(٤٧) ورد في تاريخ العراق القديم بأنه لم تكن في العراق الجنوبي او ارض شومر (سومر) قبل الطوفان سوى خمس مدن دي اريدو بادتيبيرا لاراك سيپار وشروباك ومن الظواهر الدينية لدى الشومريين السومريين والبابليين ان يكون لكل مدينة اله يحميها وان سادت تلك المدينة فيصبح نهها هو ئيس جميع الآلهة او رب الارباب ومن المدن التي كان لها آالهة بالاضافة الى هذه المدن الخمس ، مدينة ببل وكان الاهها مردوخ و اوما وكانت الاهتها شـارا و لكش وكانت الاهتها نانشه

واتنحبت « اينانا » الطاهرة على شعبها (٤٨)

شاور « انكي » نفسه

آنو » و « انليل » و« انكي » و « ننخورساك

نطقت آلهة السماء والارض باسم « آنو » و « انليل »

زيوسودرا (٤٩) الملك بعدئذ « للباسيسو » ....

بنى . الجبار ..

العبد المطيع باحترام . .

واظب يوميا وبانتظام ..... .

خلق جميع اصناف الاحلام

معلنا اسمي السماء والارض

الآلهة سوراً

وقف بجانبه «زيوسودرا مصغياً

قف بجانب الجدار من ناحيتي اليسرى (٥٠)

سأقول لك كلمة عند الجدار . خذ كلمتي هذه

---

(٤٨) اينانا الاهة الحرب والحب والخصب عند السومريين السومريين وهي عشتار البابلية

(٤٩) زيوسودرا بطل الطوفان في الاساطير السومرية السومرية) ويقابل اتونابشتم في الاساطير البابلية ، و كسيساوثروس في الاساطير الاغريقية

(٥٠) ربما يكون المتكلم الاله انكي

اعر انتباهك لوصيتي :

بقوتنـــا ... سيطغى الطوفان على المراكز الدينية ،

لمحق ذرية الانسان .

هــذا هو القرار ، كلمـــة جميع الآلهــة

الكلمة التي قررها « آنو » و « انليل » ....

لابد ان لملكيته وسلطته نهــاية .

حوالي ٤٠ سطرا مخروما

عصفت جميع العواصف الضارية ، عصفة واحدة

وطغى الطوفان في ذات الزمان على المراكز الدينية

وبعدئذ ، وطوال سبعة ايام وسبع ليال

غمر الارض الطـــــوفان

فقذفت العواصف الفلك الى البحار الرحيبة

تقدم « آوتو » ينشر ضوء على السماء والارض

فتح « زيوسودرا شباك الفلك

الملك زيوسودرا

ركع امام « آوتو »

ذبح الملك ثورا ، ونحر ماشية

•

بقية اللوح ، ٣٩ سطرا تقريبا مخرومة

اطلق « يي » روح السماء وروح الارض ، ثم ركع امام

اطلق « آنو » و « انليل » روح السماء والارض ••• ركع

انشقت الارض عن النبات ، واخذ ينمو ويستطيل

ركع امام « آنو » و « انليل »

اعز « آنو » و « انليل » ، « زيوسودرا »

منحاه حياة كحيـاة الآلهة ،

نفخا فيه روحا ازلية كروح الاله •

والملك « زيوسودرا » بعدئـذ

حامي اسم النبات وذرية الانسان ،

ســكن ارض الخصب ، ارض « دلمـون » البطحاء التي تسطع

عليهـا الشمس •

بقية اللوح ، ٣٩ سطراً تقريبا مخرومة

ترنيمة الى عشتار

بعد اطراء مفاتن الالاهة وفضائلها تتضمن الترنيمة تعديد التركات التي منحتها للملك « اميديتانا [٥١] • وبينما تظهر هذه الحقائق كاملة ، فقد حفظت النصوص اشارة لرغبة الملك لتثبيتها النهائي • وهذا النص المنشور لا يشير الى صحة اللوح• فهو قد كتب في الايام الاخيرة من سلالة بابل الأولى حوالي ١.٦٠٠ ق•م • » •

الحمد للالاهة ، لأجل الالهات

---

(٥١) اميدتانا هو الملك العاشر من الاسرة البابلية الاولى كان حكمه فى حدود ٢٠١٤ ـ ١٩٧٨ ، ويعاصر الملك الاشوري « ريحوش » .

فنلدعو واحداً منا يكرم سيدة الشعب ، وكبيرة «الايگيگي»(٥٢)

الحمد لعشتار ـ لاجل الالهـات

فلندعو واحدا منا يكرم سيدة الشعب ، وكبيرة « الايگيگي »

❋

لقد تسربلت باللذة والحب

واينعت بالحيوية والسحر والشهوة

عشتار ــ تسربلت باللذة والحب

واينعت بالحيوية والسحر والشهوة

❋

ان الحلاوة في شفتيها ، وفي فمها الحياة ،

وبرؤياها يتم الابتهـــاج

وهي رائعة اذا ما توشحت بالخمار

ذات قد فاتن وعينين متلألئتين

❋

المستشار الى جانب الالاهـــة

وهي تقبض بيديها على مصير كل شيء

وهي التي خلقت الفرح السرور بلمحـــة

---

(٥٢) الايكيكي   اسم جمع لآلهة بابل العظام (هامش ١٧)

والقوة والبهاء والاله الحامي والارواح الهاديه

*

وهي التي تشكل الحنان وترعى الوداد
فضلا عن الرضا الذي تكنــه
وتحمي الامــة ، والفتــاة ، والام المكروهة
وكل النساء يتهجدن بأسمها

*

من — من يداني سموها
ذات الارادة السامية ، والنافذة الجليلة المجيدة .
عشتار — من يداني سموها
ذات الارادة السامية ، والنافذة الجليلة المجيدة .

*

هي الوحيدة التي يسعى اليها الآلهة ، ذات المقام الفريد
كلمتها محترمة ، وسامية
عشتار فريدة المقام بين الآلهة
كلمتهــا محترمة ، وسامية

*

انها ملكتهم ، وهم ينفذون اوامرها

كلهم بين يديها ساجدون
وللنور بين يديها يستقبلون
وكل النساء والرجال لها يبجلون

❋

كلمتها صارمة ، في ندوتهم ونافذة
هي سندهم امام مليكهم « آنوم »
وهي الذكيـــة اللبيبة دائما والحكيمة
انها ومولاهـــا يتشاورات

❋

هما في غرفة العرش يستريحان
في المجلس المقدس موطن السرور
والآلهة بين يديها يجلسون
والى كلماتها ينصتون

❋

ملكهم العزيز ، وحبيب القلوب
يقـــدم لهم بفخر طاهر القرابين
واميديتانا ـــ من هبات يديه الطاهرتين
يقدم لهم الثيران السمينة والغزلان

❋

طفح وجهها بالسرور وهي تسأل زوجها « آنوم »
عن الحياة الخـــالدة الأبديــة .
ثم منحت « عشتار » وقررت ان تهب
العمر المديد في الحياة « لاميديتانا »

❋

اخضعت باوامرها لــــــــه
تحت قدمية ، جهات العالم الاربع ؛
والشعوب كافــــــة
قررت ان تربطهم بنيره .



من الادب الاكدي

قصة سرجون

انا سرجون [٥٣] الملك القوي ، ملك اكـد ،
كانت امي حورية [٥٤] ، ولا أعرف ابي
احب اعمامي [٥٥] التلال
ومدينتي هي « ازوپيرانو » تقع على ساطيء الفرات
حبلت بي امي الحورية ، وضعتني سراً •
في سلة الحلفاء وضعتني ، وبالقار ختمت الغطاء

(٥٣) سرجون ملك اكدي حكم بين ٧٠٩ ـ ٧٠٥ ق.م وعاصر الملك الآشوري سرجون الثاني
(٥٤) حورية المقصود هنا ان ام سرجون قد سرقتها الآلهة ومنحتها لاحدى الالهات فتحولت من انسانة الى حورية
(٥٥) وردت كلمة اعمامي فى النص الانكليزي المترجم عن الاكدي « اخوان ابي

القتني في النهر ، فلم أغرق

رفعني النهر ونقلني الى « اكي » كراخ الماء

رفعني « اكي » كراخ الماء حينما ادلى دلوه

تبناني « اكي » كراخ الماء ورباني

جعلني « اكي » كراخ الماء بستانيا عنده

وحينما كنت بستانيا منحتني حبها عشتار

فتوليت الملك لاربعة و ٠٠٠ سنين

حكمت ذوي الرؤوس السود (الناس) وسدت

كست الجبال الشامخة بفأس البرونز الحادة

تسلقت الدرجات العليا

واجتزت الدرجات السفلى

جبت الشواطيء البحرية ثلاث مرات

فدعي يا « دلمون [٥٦] ساعدي تشتد

ذهبت الى « دير » [٥٧] العظيمة

---

(٥٦) دلمون مدينة تقع فى الجزء الشرقي من خليج البصرة والارجح انها فى البحرين وهي الفردوس الالهي عند الشومريين (السومريين) ، وفى هذا الفردوس انبتت ننحورساك للمرة الثانية انواع النباتات بعد عملية معقدة شملت ثلاثة اجيال من بنات اله الماء « انكي »

(٥٧) دير مدينة نجهل موقعها وقد تكون على نهر دجلة.

• • • • غيرت و • • • •

فيما اذا جاء من بعدي ملك

دعيه يسود ذوي الرؤوس السود الناس) ودعيه يحكم

دعيه يقهر الجبـــال الشامخة بالفؤوس البرونزية الحادة

دعيـــــــه يتسلق الدرجات العليـــا

دعيه يجتـــــاز الدرجات السفلى

دعيـــــه يجوب الشواطيء البحرية ثلاث مرات !

يا « داجون » دعي ساعده تشتد

دعيـه يذهب الى « دير العظيمة و • • • •

• ومن مدينتي اكـــد • •

(البقيـــة مخرومة)

خواطر اكدية حول الحياة

حوار تشاؤم بين السيد والعبد

Robert H Pfeiffer

١

« اطعني ايها العبد ! نعم يا سيدي نعم .

احضر العربة لي حالا وهيئها ، فأنا اريد ان اركب الى القصر» .

اركب يا سيدي اركب فستتحقق جميع رغباتك وسيكون الملك كريما معك .

« لا ايها العبد انا لن اركب الى القصر

لا تركب يا سيدي لا تركب — الى القصر ... سيرسلك سيسلبك في ارض مجهولة . سيريك الشتاء ليلا ونهارا .

٢

« اطعني ايها العبد ! » نعم . ياسيدي نعم

احضر الماء حالا ، لاغسل يدي ؛ فانا اريد ان اتعشى »
تعش يا سيدي ، تعش . فالعشاء بانتظام يسر الفؤاد .
تأتي شمش بيدين معسولتين لتأكل بسعادة .
« لا ايها العبد ؛ فأنا لن اتعشى »
لا تتعش يا سيدي ، لا تتعش   كل انسان يأكل اذا جـاع
ويشرب اذا عطش

٣

« اطعني ايها العبد   نعم . ياسيدي نعم
احضر العربة لي حالا وهيئها . فسأركب الى الفلاة » .
اركب يا سيدي اركب . فالمعـدة الخالية مملوءة .
كلب الصيد سيكسر العظم ؛ وطير الخاخور ــ المهاجر
سيبني عشه ؛ وحمار الوحش يركض جيئة وذهاباً سوف ...
« لا ايها العبد لن اركب الى الفـــلاة » .
لا تركب يا سيدي لا تركب . ان شرود العقل مختلف .
اسنان كلب الصيد ستتكسر ، وعش طير الخاخور المهاجر
في ثقب الجدار ؛ موطن حمار الوحش الذي يركض
جيئة وذهابا ، هو الصحراء .

٤

« اطعني ايها العبد   نعم   ياسيدي نعم

ان سكوتي عن الرجل الشريف نفــذ

«سأقبض على عدوي، واشده بالاغلال. وسأنام بانتظار غريمي» .

نم منتظرا يا سيدي نم منتظرا ... فان البيت الذي لن

تبنيه . هو من اندفع طائشا يخرب منزل ابيه

٥

انا لن ابني داراً

لا تبنـــــــــــه

٦

اطعني ايها العبد   نعم   ياسيدي نعم

عند كلمة غريمي سأظه صامتا

الزم الصمت، يا سيدي ، الزم الصمت . فالصمت خير من الكلام .

« لا ، ايها العبد لن الزم الصمت عند كلمة غريمي »

لا تلزم الصمت يا سيدي ، لا تلزم الصمت . اذا لم تنطق

بلسانك ... فأن غريمك سيغضب منك

٧

« اطعني ايها العبد   نعم . ياسيدي نعم

لقد قررت الثورة » .

افعل يا سيدي ، افعل . ان لم تبدأ الثورة فماذا

بقي من صفاتك ؟ من سيعطيك شيئا تسد به جوعك ؟

« لا ايها العبد ، لن ارتكب عنفا

لا ترتكب يا سيدي ، لا ترتكب ، فالرجل الذي يرتكب

العنف ، يقتل او يسام سوء العذاب ، او يعتقل

و يقبض عليه ويلقى في غيابة السجن .

٨

« اطعني ايها العبد نعم ياسيدي نعم

سأحب امرأة

نعم، احب ياسيدي احب، فالرجل الذي يحب امرأة ينسى الالم والشقاء

« لا ايها العبد ، لن احب امرأة »

لا تحب سيدي لا تحب . فالمراة بئر . والمرأة خنجر

حديد حاد تقطع رقبــــة الرجــل

٩

اطعني ايها العبد نعم ياسيدي نعم

احضر الماء حالا لاغسل يدي قدمه لي

اريد ان اقدم القربان لألهي

ضح يا سيدي ، ضح . فالرجل الذي يقدم القربان الى الالهه
سعيد — ويضع دينا على دين
لا ايها العبد لن اقدم القربان لألهي
لا تضح يا سيدي ، لا تضح ، عليك ان تُعَلَّمَ الأله العدوَ وراءك
مثل كلب يحتاج اليك ، قائلا « احتفل بشعائري
او « لا تسأل متوسلا بالوحي » او أي شيء آخر

١٠

« اطعني ايها العبد ! » نعم . ياسيدي نعم .
سأهب طعاما لبـلدي » .
هب يا سيدي هب ! فالرجل الذي يهب الطعام لبلده
يبقى شعيره له ، ويتعاظم ما يرده من الارباح
«لا ايها العبد ، لن اهب الطعام لبلدي » .
لا تهب ، يا سيدي لا تهب . فان العطاء مثل الحب ..
ينجب الاطفال .. هم سيلعنونك ، وسيأكلون شعيرك ويهلكونك .

١١

« اطعني ايها العبد نعم . ياسيدي نعم
« سأعمل شيئا نافعا لبلدي
افعل يا سيدي افعل . فالرجل الذي يعمل

شيئا نافعا لبلده ، فان مأثرته هذه توضع في اناء مردوخ •

« لا ايها العبد ، لن افعل شيئا نافعا لبلدي

لا تفعل ، يا سيدي ، لا تفعل ، تسلق اكمات الخرائب •

القديمة ، وامشِ ، تطلع الى جماجم السابقين واللاحقين ،

الشرير منهم ، والخير المشهور

١٢

اطعني ايها العبد نعم • ياسيدي نعم

« والآن ما هو الخير ؟ اكسر رقبتي ورقبتك فلقي

نفسينا في النهر ــ ذلك هو الخير

من هو الطويل حتى يصعد الى السماء ؟ ومن هو العريض

المنكبين ليحتضن الارض ؟

« لا يا ايها العبد ، سوف اقتلك ، لتسبقني »

افيرغب سيدي عندئذ ، ان يعيش بعدي

حتى ولو ثلاثة ايام ؟

قصة بابلية

رقية كونية

الدودة ووجع الاسنان

E A Speiser .

بعـد ان خلق « آنو السماء

خلقت السماء الارض

والارض خلقت الانهـار

ثم خلقت الانهار القنوات

وخلقت القنوات المستنقع

والمستنقع خلق الدودة

ذهبت الدودة ، تبكي امام « شمش » (٥٨)

جرت دموعها امام « ايا »

« ماذا ستمنحني لآكل ؟ »

«سأمنحك ثمرة التين

والمشمش »

« ماذا تفيدني ثمرة التين

والمشمش ؟ »

« ارفعني وضعني بين الاسنان

لتكن اللثـــــات موطني

وسامتص دماء السن

وسانخر جذوره

ثبت المسمار ورسخ جذوره (٥٩)

لأنك قلت هذا ايتها الدودة ،

سيبتليك « ايا » بالقوة

التي بين يديــــــــــه

---

(٥٨) شمش هو اله الشمس لـدى البابليين ويرمز الى الضوء والمعرفة

(٥٩) هذه تعليمات موجهة الى طبيب الاسنان .

امثال ما بين النهرين

Robert H Pfeiffer

* لا تسيء الى احد ، عندئذ لن يدخل قلبك الأسى .
* لا تفعل شرا ، فلن يتملكك عندئذ حزن دائم
* من تحبل دون نكاح ، بل من تسمن دون اكل
* النكاح يسهل رضاع الثـــــدي .
* حينما اعمل يسلبونني اجرتي، وحينما اضاعف جهودي ما يمنحني احد شيئا
* الرجل القوي يأكل باجرته ، والرجل الضعيف بأجرة طفله .
* انه محظوظ في كل شيء ، طالما يلبس حلة جميلة .
* هل نضرب وجه الثور الذي يمشي ، بالسوط ؟
* كبتاي تسيران بي ، قدماي قويتان ومع ذلك يتعقبني بالعـــذاب رجل عديم الادراك .

* الست حصانا اصيـــلا ؟
* مع ذلك انا مسرح مع بعل، وعلي ان اجر عربةمحملةبالقصب•
* ان الطين ينصب علي ؛ مع اني اســكن بيتا مبنيا بالطابوق والقــــــار
* ان حيـــاة نهار قبل البارحة مثل كل يوم •
* لو وضعت في النهر ، لاتننت مياهه ، ولو وضعت في البستان فسد ثمره •
* اذا كانت الساق عوجاء • فلن تعطي برعما ولا بذرة •
* سيموت حالا ؛ هكذا يقول ؛ « دعني انفق كل ما املك!
ستصبح صحته جيدة حالا ؛ هكذا يقول: « دعني اقتصد!»
* هـــل تنبت الحنطة الناضجة ؟ كيف ندري هـــــل تنبت الحنطة العجفاء ؟ كيف ندري ؟
* لن يصد العدو امام باب المدينة التي عدة حربها ضعيفة•
* يمكنك تذهب وتسيطر على حقل عدوك ، فيأتي العدو ويأخـــذ حقلك
* يجب ان لا تلد الأم ، الطفل الفاسد ، ويجب الأ يخلقه الهه الشخصي
* مع الثعلب عصا : فمن سأضرب ؟ وهو يحمل وثيقة قانونية،

فماذا اتحدى ؟

* عند هروبي من الثور الوحشي ، واجهتني البقرة الوحشية!

* هو صديقة ما دام على قيد الحياة، وغريمة الاكبر يوم مماته.

* لن يصل الى نتيجة ، ما دامت النسوة يتكلمن مع بعضهن

* تدخـــل الذبابة في الفم المفتوح !

* انت كالبقرة العقيم ، تبحث عن عجلها الذي لم يولد

* قال الحصان بعد ان القى فارسه « سأصـــاب بالهزال ان ظل هذا حمـــــــــــلي

* الكلب يفهم « خذها ! » ولا يفهم « دعها ! »

المحتوى

ثبت بالخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٥	٧	عامة	خاصة
٥	٧	خاصة	عامة
٨	١٠	فى	ـ (تحذف)
٩	٤	ففطموا	فغمطوا
٩	١٤	نبوريانوس كيدينو	نبوريانوس وكيدينو
٩	١٨	لا يذكر	فانه لا يذكر
١٢	١٧	خطى	خطا
١٣	١١	حدى	حدا
١٧	٧	الاشرية	الاشورية
١٩	١٣	وافلا	افلا
٢٢	١٦	للانصييع	الانصياع
٢٣	١٥	وسلطاتها	ومنحهاسلطاتها
٢٤	٤	القوىالغيبية	والقوىالغيبية
٢٥	٣	وبظرا	ونظرا
٢٤	٥	وهي	وهذه
٣٠	٥	منها وجد	منها ما وجد
٣٠	٦	اويوليس	اويوليسيس
٣٠	٨	الاعجاب	العجائب
٣٠	٨	التي	التي لا
٣٠	١٠	الاسطو	الاسطورة
٣٠	١٤	وحينما	فحينما
٣١	٢	جديد	جديدين
٣١	٩	ابي	أبا
٣١	١٢	اذا	أذ
٣٢	١٠	شاهد	الشاهد
٣٣	١٣	وزيادتها	وريادتها
٣٥	١٦	القرآ	القرآن
٣٦	٥	الشعر الادبي	الادبالشعري
٤١	٢	اما فى	وفى



٢٠٠٠ / ٥ / ١٢ / ٧٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٨٥٠ ــ ١٩٧٢

مطبعة النعمان ــ النجف الاشرف هاتف ٢٠٩٧



الثمن ٢٨٠ فلساً

تصميم الغلاف صادق سميسم

١٩٧٢

طبع الغلاف في مطبعة الاديب البغدادية